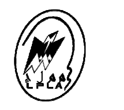
جامعة مولود معمري–تيزي وزو

مخبر الممارسات اللغوية



منشورات مخبر الممارسات اللغوية

جوئيل رضوان

موسوعة الترجمة

ترجمة محمد يحياتن

العنوان الأصلي للكتاب: Jöelle Redouane

Encyclopédie de la traduction

O P U, Alger, S.D

منشورات مخبر الممارسات اللغوية
جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

الإيداع القانوني: **-2010**

ردمك: **---978-9947**

تقديـــم

أيّها القارئ الكريم: لقد قطعنا العهد بأن نسعى لتقديم الأحسن في كل مرة، فها هو المنتوج الثاني لمخبر (الممارسات اللغوية) يرى النور من خلال هذه الترجمة التي رأينا أهميتها، فعملنا على طبعها لتصل إلى القارئ.

إنّ هذا العمل يحمل عنوان L'encyclopédie de la traduction موسوعة الترجمة، وهي صغيرة الحجم، إلا أنّها غنّية في المفاهيم التي تحملها؛ حيث تنطوي على سلسلة من المحاضرات التي ألقتها صاحبتها على الطلبة بقسم الترجمة بجامعة الجزائر منذ مدة طويلة. وقد رغبنا في طبعها بعدما ترجمتها الأستاذ محمد يحياتن رئيس فرقة (وحدة الممارسات اللغوية) وعضو المخبر. وأهميتها ذات نفع عام، بالنظر إلى القضايا النظرية والتطبيقية والمهنية التي عالجها النصّ الأصلي؛ ومن بينها تاريخ الترجمة منذ العصور القديمة إلى يوم الناس هذا، وقد أوضحت المؤلفة أن الترجمة في بدء أمرها كانت فعلاً نفعياً براغماتياً؛ غايتها القصوى تلبية حاجة التواصل المباشر بين الناس، ثم شيئاً فشيئاً أمست الترجمة موضوعا للدراسة والبحث، ولا يزال الدارسون يعملون النظر فيها نظرا لما تحمله من تقدم كبير في الوقت المعاصر، ولحاجة الناس للتواصل بين اللغات.

ولقد عالجت المؤلفة موضوعا غاية في الأهمية ألا وهو القضايا النظرية للترجمة، من حيث طبيعتها وأبعادها المختلفة، ووقفت عند الآراء القائلة باستحالة الترجمة والآراء القائلة بإمكانها كما بيّنت الأهمية التي تكتسيها الأسلوبية المقارنة في التغلّب على المشاكل التي تطرحها الترجمة من لغة إلى أخرى، كما اقترحت (مفاتيح للترجمة) من شأنها أن تعين المترجم على تجاوز بعض المشاكل والصعوبات.

كما أبانت المؤلفة عن صورة المترجم ومنزلته عبر العصور، ويبدو أن

المترجم والترجمان لم يحظيا دائما بما يليق بمهمتهما؛ ذلك أن الناس ظلوا ينظرون إليهما بوصفهما يعيشان عالة على غيرهم. غير أن الأمر تغير مع مرور الزمن واشتداد الحاجة إليهما. وهكذا فكر المترجمون والتراجمة في إنشاء اتحادات وجمعيات تحمي حقوقهم.

وأخيرا، عالجت المؤلفة الترجمة الشفوية لما لها من خصوصيات وأبعاد والطرائق الخليقة بتجاوز الصعوبات التي تطرحها، بالقياس إلى الترجمة التحريرية.

وبعد فإن هذه المحاضرات لا غنى عنها لمن يريد أن يتزود بمعلومات وافية عن فعل الترجمة لاسيما وأنّ المؤلفات التي عنيت بها باللغة العربية قليلة جدا.

ويسعد المخبر أن يعمل عضو على ترجمة هذا العمل الهام، ويضمه إلى سلسلة منشورات المخبر كما يفتخر بهذه الترجمة الرائعة التي يصعب التفريق بينها وبين النصّ الأصلي، وهذا دلالة على حصافة المترجم المشهود له بالإتقان في الترجمة.

مدير المخبر: أ. د صالح بلعيد

تمهيـــــد: إن هذه الدروس التي قدمناها خلال السداسي الخامـــس فـــي الترجمة المكتوبة والترجمة الشفوية، تضمّ كل ما عالجناه في الـــدروس الأكثـــر تخصصا: الأسلوبيات المقارنة (أو دراسة أساليب الترجمـــة المـــستعملة عنـــد الانتقال من لغة إلى لغة أخرى) وتقنية الترجمة وتسجيل الملاحظات في الترجمة اللاحقة وتقنية الترجمة الفورية. هذه الدروس تشكل إذن خلفيـــة عامـــة تـــسمح بالإحاطة بالتقنيات المختبرة في المحاضرات الأربع الأخرى.

لقد زوّدنا العديد من الزملاء بالمعلومات وهم السيدات والـــسادة عبّـــادة ودبّاح وحجاجي وموهوب وأوسعيد. وإني لأعرب لهم عن امتنـــاني وبخاصـــة السيدة يمينة هلال التي قدّمت لي مساعدة جمّة.

الفصل الأول: تاريخ الترجمة

إن كتابة تاريخ الترجمة لشعب من الشعوب معناه أيــضا القيــام بكتابــة تاريخ أدبه وذائقته وأفكاره. فبفضل المترجمين أمكن للقديس تومـــا الأكــويني[1] وضع التوماوية Thomisme في حوالي 1270، كما أنه بفضل الترجمة انتشر الميل للغة والثقافة الإنجليزية anglomanie في فرنسا في القرن التاسع عــشر (بودلير) وأن التأثير الياباني صقل الحساسية الإنجليزية مــع لافكــاديو هــرن Lafcadio Hearn في حوالي 1900. إن دراسة المصادر والتأثيرات كثيــرا ما يكشف الدور المجهول الذي تضطلع به الترجمة.

1 ــ الترجمة في العصور القديمة: إن تاريخ الترجمة موغل في القــدم. وحسب الإنجيل (التكوين)، أراد أبناء نوح الذين كانوا يتكلمون نفس اللغة تشييد " برج" بابل ــ كان الأمر يتعلق في الحقيقة بــزقرة ziggourat[2] مربعة بابلية ــ لتسلق السماء، بيد أن الربّ عاقب صلفهم بتشتيتهم وهذا بتعداد لغاتهم (أنظر كذلك القرآن، 28/16 وفق تأويل جلال الدين). هكذا إذن عوقب الناس بواسطة التشتيت وعدم القدرة على التفاهم. وكان عليهم حينئــذ أن يبتكــروا الترجمــة والترجمة الشفوية بقصد التواصل. والحال إن كلمة "بابل" ظلت في الفرنسية كما في الإنجليزية توحي باجتماع أناس يتحدثون دون تفاهم، وسط الجلبة والفوضى.

إن الترجمات الأولى المشهورة في التاريخ هي التي قيم بها فــي الــشرق الأوسط. خلال الألف الثالث قبل الميلاد، ترجمت ملحمة جلجامش الــسوريانية حول البحث عن الخلود إلى الحيتية والهورية انطلاقا من السومرية. بعــد ذلــك بكثير، دائما في بلاد الرافدين، أمر الملك حمورابي بنقش قانونه على نصب في

1- من علماء اللاهوت، إيطالي (1225- 1274). (المترجم)

2- برج دبني من عدة طوابق فب بلاد ما بين النهربة. المترجم.

حوالي 1700 قبل الميلاد. وكان لهذا القانون الموضوع باللغة الأكادية والمترجم إلى الهورية، تأثير جمّ على الشرق الأوسط قاطبة.

بعد سومر، أضحت مصر مهد الحضارة. كان الكتّاب يحظـون بمنزلـة الأمراء وقد ترجموا إلى العديد من اللغـات. أنـشئت مدرسـة للترجمـة فـي الإسكندرية وظلت تشتغل في القرن الثاني بعد الميلاد. وقـد سـمحت حجـرة روزتة pierre de Rosette ،وهي جزء من النصب (يرتقي تاريخه إلى 196 ق.م والمكتشف في 1799) لشامبوليون بفكّ الرموز الهيروغليفية، لأنها كانـت تحمل نفس النقش المدوّن بالحروف الهيروغليفية والديموتيكية[3] والإغريقية.

لمّا كان اليونانيون يعتبرون أنفسهم الشعب الأكثر تحضرا والذي يحمـل ثقافته للشعوب الأخرى، فإنهم لم يترجموا إلا النزر القليل، لأن لغـتهم كانـت منتشرة في البحر الأبيض المتوسط كله. كما أن الرومانيين الأوائل لم يستشعروا الحاجة إلى الترجمة لأن اللغة النبيلة كانت اليونانية وهي اللغة التي كان يمتلكها جميع الناس المتعلمين المهذبين. بعد ذلك بكثير، عنـدما تغلبـت رومـا علـى اليونان، فرضت اللغة اللاتينية نفسها بوصفها لغة عالمية. في القرن الأول قبـل الميلاد، أشاع الخطيب المصقع شيشرون الآثار اليونانية بترجمتها. كما أعمـل النظر في المبادئ النظرية للترجمة (أنظر مقدمته لـــ De Optimo Genere Interpretandi). غير أن المترجم الأكثر شهرة فيما يتعلق باللاتينية هو القديس جيروم بفضل ترجمتـه للإنجيـل فـي 384. والحـال إنـه يعتبـر رئـيس المترجمين، وفي 1946 عنون فاليري لاربو Valéry Larbaud كتابه النظري في الترجمة بـ " Sous l'invocation de St Jérôme (بوحي مـن القـديس جروم.).

3- اللغة اليونانية الدارجة. (المترجم)

2 ــ العــرب: إن العرب هم الذين تولوا ترجمة النصوص الهامة جدا في المجالات العلمية والفلسفية قبل العصر الحديث. لقد كان لهم الفضل فــي نقــل الموروث اليوناني إلى بقية العالم، وقد درست هذه الترجمات مــن قبــل كبــار الفلاسفة أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وكذا من قبــل العلمــاء الأوربيين في القرنين الثاني والثالث عــشر. ومــن الأمــور اللافتــة أن هــذه الترجمات المتأثرة بنظم دينية مختلفة " تنقل حقيقة ذات طبيعة مختلفة مع أنهــا تزعم بأنها صادقة صحيحة بوصفها كذلك" (ر. فالتزر R.Waltzer، ص 27). كما أن ما يلفت الانتباه أيضا هو أن الترجمات التي أنجزها العرب قد حافظــت على تراث ثقافي لا يقدّر بثمن لاسيما وأن العديد من الأصــول اليونانيــة قــد ضاعت.

أــ الترجمة العربيــة فــي الــشرق الأوســط: مــن 363 إلــى 489 الميلادية، ظلت مدينة بشمال بلاد ما بين النهرين، ألا وهي أدس (الآن تــدعى عرفة بتركيا) مركز إشعاع للغة والثقافة الــسوريانيتين، بفــضل النــستوريين (المنتمين إلى طائفة مسيحية). ترجم بعــض العلمــاء إلــى الــسوريانية كتبــا موضوعة باليونانية من قبل أفلاطون وأرسطو، وبخاصة الكتب المنطقيــة. ثــمّ أقامت هذه المدرسة بفارس، غير أن الترجمة إلى السوريانية ظلت مزدهرة في سوريا وبلاد ما بين النهرين إلى غاية القرن السادس.

ابتداء من القرن السابع، استقدم الخليفة خالد حفيد معاوية فلاســفة مــن مصر يتقنون العربية بقصد ترجمة كتب في الخيمياء (تحويل المعادن) موضوعة باليونانية والقبطية. وكانت هذه بمثابة الترجمات الأولى في بلاد الإسلام بينمــا كانت اليونانية تستعمل في مدن العراق الكبرى وتقريبا في كــل مــن ســوريا وفلسطين. يوضح الجاحظ بأن الخليفة كان راعي المترجمين. وكــان أشــهرن أسطافن القادم، ولم يكتف الخليفة بترجمة كتب الخيمياء، ذلك أن أعــضاء هــذا البيت ــ بيت الحكمة ــ ترجموا بعد ذلك كتبا في علم الفلك والكيمياء والطــب

وحتى في الصناعة التقليدية والفن العسكري والصناعة.كان صنيع الخليفة هـذا يستجيب لحاجة ماسة ظلت قائمة خلال قرون عديدة، والتي لم تكن مقصورة على بيت الحكمة، وهي عبارة عن مكتبة كبرى توفر جميع الأدوات الضرورية لمترجم ذلكم الزمان. كان هناك أيضا مترجمون مستقلون، كما كانت هناك مدن تنشر وتوزع الترجمات. (أنظر : M.Sekouri-Alaoui, "Les traducteurs arabes dès le VIIème siècle, in L'Interprète, n°1, 1978, pp.4-5)

في القرن الثامن (الثاني للهجرة)، على أيام الخليفة العباسي المنصور، ترجم ابن المقفع الأدب الفارسي بقصد تليين النثر العربي. إننا نجد هذا الانشغال كذلك لدى دو بيلي Du Bellay قرونا بعد ذلك.

في القرن التاسع (الثالث للهجرة)، أصبحت مدرسة بغداد أكبر مركز للترجمة لمدة قرنين تقريبا. في 820، أعطى الخليفة المأمون دفعا جديدا لبيت الحكمة. وبتوجيه من أسرة هارون الرشيد، ترجمت كتب علمية وفلسفية يونانية بفضل فريق هام من المترجمين الذين كانوا أعضاء أسرة واحدة مثل بني المنجم. ولما كان الخليفة حريصا على الحصول على المصادر نفسها وليس على نسخ أو صور منها، فقد أرسل وفودا إلى بيزنطة التي كانت مستودع المعرفة اليونانية، وهذا لجلب المخطوطات اليونانية لمترجمي بغداد. كان جلّ هؤلاء المترجمين مسيحيين (نستوريين ويعقوبيين) لغتهم الأم هي السوريانية، ولكنهم كانوا يتعلمون العربية. كانوا يعملون ضمن فرق ويتقنون علوما أخرى مثل الطب وعلم الفلك. كانوا يقسمون العمل ويأخذون في الحسبان إمكانيات كل واحد منهم ويسيرون على هدي الطريقة التالية:

- تحقيق النص الأصلي: نقد المصادر وتحقيق النص الأصلي
- ترجمته من قبل مترجم
- عمل المحرر الذي يساعد المترجم
- مراجعة الترجمة من قبل مراجع

لقد قامت مدرسة بغداد بعمل لا يقدر بثمن بالحفاظ على فكر كبار العلماء اليونانيين في الرياضيات والطب (جالينوس) والفلك (بطليموس) والخيمياء (مدرسة الإسكندرية) أو الفيزياء وخاصة الفلسفة (أفلوطين، أفلاطون، أرسطو)، بيد أنها تجاهلت الفنون والآداب الجميلة. كما قام هؤلاء المترجمون بأبحاث في المصطلحات العربية، خاصة في المجال الفلسفي. غير أن المصطلحات التي وضعوها كانت في الغالب منسوخة عن اللغة السوريانية مع اقتراض ألفاظ من الفارسية. كما وضعوا مصنفات تعليمية مثل "المداخل" ، بقصد إشاعة المعرفة العلمية.

تجمّع العلماء في بغداد مستمدين جزءا من معارفهم من أعمالهم لنشرها في العالم العربي قاطبة. وهكذا تأثر الفيلسوف الفارابي بمدرسة الإسكندرية، حين فصل الفلسفة عن اللاهوت. أما المتصوف أبو حامد الغزالي فقد سعى إلى صبّ الأفكار الإسلامية في بعض أشكال الجدلية اليونانية. وقد قوي تأثير الترجمة انطلاقا من اليونانية ويظهر ذلك جليا في أعمال ابن سينا مؤسس النظام السكولاستي scholastique وكذا على أعمال ابن رشد. لعبت أعمال هذين الفيلسوفين ، المترجمة من العربية إلى اللاتينية، دورا ذا بال في فكر أروبا الوسيطة (في القرون الوسطى): فالنظريات الأرسطية التي كانت تنطوي عليها درّست خاصة من قبل سيجر دي برابان Siger de Brabant بباريس في حوالي 1270، وكانت الجامعات الأوربية تدرّس أيضا الأفكار المبسوطة من قبل ابن سينا في القانون في الطب في بداية القرن السابع عشر.

كان أشهر المترجمين يدعى حنين بن إسحاق (ت في 877) وهو طبيب مسيحي مزدوج اللغة : عربية ــ سوريانية. تنسب له العديد من الأعمال في الطب والفلسفة والرياضيات. ترجم بمساعدة الأزرق (وكان مراجعا له) هيبوقراط وجالينوس. ولما كان متقنا للعربية، تولّى أيضا تصحيح ترجمات ابن البطريق (أرسطو وأفلاطون). هذا ويعدّ ابنه إسحاق بن حنين (ت في 910)

وقوسطا بن لوقا من أشهر وأكبر مترجمي هذه المدرسة.

لقد سجل العهد الذهبي لمدرسة بغداد منعطفا: يتميز هذا المنعطف، الذي اتسمت بوادره في القرن الثامن بصناعة الـورق، بتفاعـل الثقافـات العربيـة والهيلينية (في أغلب الأحيان بواسطة اللغة السوريانية) والتي يصورها الجـاحظ أيما تصوير. لقد أثار صاحب الحيوان سجالا حول الترجمة، لأنه كان يرى بأنه يستحيل الإبانة عن عبقرية القرآن باللغة الفارسية أو اليونانية ــ اللتـين كانتـا لغتي الثقافة في ذلكم العصر.

ب ــ الترجمة العربية في إسبانيا: احتـضنت إسـبانيا بعـض مراكـز الترجمة وكان لها من الصيت ما جعلها تحجب مراكز أخرى أقل إشعاعا. فـي صقلية وإيطاليا الجنوبية، وبتشجيع الملوك الأنجوفيين فـي القـرنين الـسادس والثاني عشر، ترجم التراث اليونـاني إلـى اللاتينيـة مـن قبـل قـسطنطين الإفريقي، كما ترجمت تفاسير عربية لكتاب يونانيين كبار. وهكذا ترجم ميكايـل سكوت التاريخ الطبيعي الأرسطي مع تفاسير ابن سينا وابن رشد، فـي حـين ترجم اليهودي كولونيموس ابن رشد والغزالي، وترجم اليهودي من أقريجـانتي المدعو فرج بن سليم الموسوعة الطبية للرازي.

وعلى نفس النحو، تمّت صلات ثقافية في إسبانيا بعد القرن التاسـع، فـي المناطق حيث بها ساكنة مختلطة، لاسيما حيث يوجد اليهود الذين كـانوا وسـائط بين الإسلام والمسيحية، علما بأن العربية هي نفسها الوسيطة بين الإرث اليوناني والمعارف الأوربية. وهكذا، في حوالي القرن الحادي عشر، كانت إسبانيا المسلمة أو المعربة أكبر مركز لنشر المعرفة، مستخلفة مدرسة بغداد وفق نفس الترسيمة: تمّ نقل المعرفة بواسطة مترجمين يمارسون دينا (ولغة أم أو لغة دينية) غير لغـة الجماعة التي كانوا يعيشون في صلبها. إن الدور الذي اضطلع بـه النـستوريون (ذوو اللغة السوريانية) ببغداد تولاه يهود إسبانيا فيما بعد.

ظهر أول مركز للترجمة بإسبانيا في القرن العاشر في برشلونة : تـــرجم بلاتون دي تيفولي بمساعدة اليهودي سافاسوردا نصوصا عبرية وعربية في علم الفلك والتنجيم ومن بينها نصوص البتاني بين 1116 و1138.

في قرطبة، تمت ترجمة التراث اليوناني المنقول بفضل العرب. وبوصول اليوناني ديوسكوريدا عني المترجمون بنقل الطب وعلم النباتات والصيدلة.

كان لمدرسة طليطلة، في القرنين الثاني والثالث عــشر، مـــن الإشـــعاع ما جعلها تجتذب علماء من أنحاء أوربا قاطبة. بعد قرنين من خروج العرب من إسبانيا ــ reconquista ــ ظلت طليطلة تحتــضن العديــد مـــن الإســـبانيين المسلمين كما أصبحت أحد أكبر المراكز الثقافية والدينيـــة للجزيـــرة الإيبريـــة ومنارة للغرب الذي كانت لغة ثقافته (ولغة الشعائر الدينية) هي اللاتينيـــة. فـــي هذه الفترة، أشاع ملك قشتالة وليون ألفونسو الحكيم (أو العالم) (1221ــ1284) الذي نصّب نفسه "ملك الأديان الثلاثة" (الإسلام والمسيحية واليهودية) التـــسامح الجمّ. وقد تحلّق حول قساوسة طليطلة مثل ريموند (1125ــ1152) ثمّ رودريقو (1170ــ1247)

علماء مسيحيون ويهود شجعوهم على ترجمة كتب عربية أو وضع كتب جديدة حسب رغبة الملك. في بداية الأمر، كان العلمـــاء الأوربيـــون يجهلـــون العربية ولكن بمساعدة العلماء العرب الأندلسيين واليهـــود بطليطلـــة تعلموهـــا وترجموا إلى اللاتينية، في حين ترجم علماء طليطلة هذه النصوص عينها إلـــى اللغة القشتالية. وهكذا أمكن للترجمات إلى اللغـــة القـــشتالية أن تجعـــل اللغـــة الإسبانية أداة يمكن استخدامها في كل مصنف تعليمي. سنرى لاحقا بأن لغـــات أخرى غير الإسبانية أصبح لها شأن عظيم في مرحلة أولى بفضل الترجمة إلى حدّ ما: الإنجليزية مع كاستون والفرنسية في عهد دي بيلي، والألمانية مع لوثر. كان دي بيلي يحثّ على ترجمة الكتّاب القدامى لتكوين الأســـلوب. إن مؤلفـــات

هؤلاء الكتاب قد فرضت لغة كانت في مستهل أمرها جهوية ولكنها أصبحت بعد ذلك لغة الأمة برمتها.

إن الطريقة التي اعتمدتها مدرسة طليطلة لا تزال مجهولة. يبدو أن الملك كان يرسم خطة كل كتاب ويشير إلى المصادر ويراقب صفاء القشتالية. إننا مدينون له بالحفاظ على العديد من مؤلفات ابن سينا وابن رشد كما نحن مدينون له بكونه أمر بوضع كتب في علم الفلك والمعادن. من بين الترجمات الممتازة هذه يمكن أن نذكر : ترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى القشتالية، وإلى الفرنسية كتاب L'échelle de Mahomet التي قام بها بونافنتور دي سيان، والتي ألهمت الكاتب دانتي[4] فيما بعد.

من بين أكبر العلماء الذين اجتذبتهم مدرسة طليطلة نذكر:

دومينيكوس قوندسالفي الذي ترجم بمساعدة اليهودي الذي أسلم ابن داود، كتبا فلسفية وضعها الفارابي والكندي والغزالي (وبخاصة مقاصد الفلاسفة) وابن سينا.

جيرار دي كريموني الذي ساعده الأندلسي غالب قبل أن يتعلم العربية. يعود له الفضل في ترجمة أكثر من 70 كتابا من تأليف الفارابي والكندي والقابسي. كما ترجم كتبا عربية ترجمت مباشرة من اليونانية (مؤلفات أوقليدس وأرسطو وهيبوقراط وجالينوس). واشتهر خاصة بترجمته للقانون في الطب لابن سينا. أدلار دي باث وهو إنجليزي ترجم أوقليدس وأبا معشر.

روبير دي شستر وهو أيضا إنجليزي. وهو صاحب أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية.

هرمن دي دالماسي وهو سلافي.

هناك عالم آخر مشهور يدعى بطرس المحترم Pierre le Vénérable، وهو قسّ من كلوني زار طليطلة في 1142 وقد أمر روبيرت دي كاتون

---

4 – دانتي Dante كاتب إيطالي (1265–1321) اشتهر بمؤلفه الكوميدية الإلهية. (المترجم).

بترجمة القرآن بقصد تسفيهه. إن هذه الترجمة التي لم تكن سوى إعادة صياغة سيئة ظلت مع ذلك النسخة الأكثر مقروئية في أوربا إلى غاية القرن السابع عشر. أما ترجمة القرآن الجيدة التي قام بها مارك دي توليد (القرن الثالث عشر) لم يكتب لها الذيوع.

3 ـ ترجمة النصوص العربية في أوربا: في بداية القرن الرابع عشر، عزف العلماء الأوربيون الذين كان جلهم قساوسة عن ترجمة الآثار العلمية التي سمحت، من القرن الحادي عشر إلى غاية القرن الثالث عشر، بازدهار الطب والفلك والرياضيات انطلاقا من اللغة العربية. إن وجود كلمات عربية في صلب المتن العلمي للغات الأوربية (مثل " algèbre, azimut, zénith, nadir, alkali في اللغة الفرنسية التي نجدها في الإنجليزية والألمانية والإسبانية) يشهد على هذا التأثير. غير أن العلماء الأوربيين الذين ألهمهم القسّ دي كلوني، لم يعد يدرسون النصوص العربية إلا بنوايا تمجيدية لدينهم أو لتسهيل مراميهم التنصيرية. وهذا حال رامون مارتان. هناك رجال أمثال روجير بيكون، الفيلسوف الإنجليزي المتوفى في 1294 وبخاصة الكتلاني ريمون لول (ت في بجاية في 1315) كانوا يأملون في تعليم العربية ولكن بقصد حمل الناس على اعتناق المسيحية. في 1311، حثّ المجمع الديني لفيينا على دراسة العربية. وقد أنشئت أول أستاذية للغة العربية chaire d'arabe في باريس في 1539 لغيوم بوستل ثمّ لسكاليجر. واقتفاء لما قامت به أسرة مدسيس بفلورنسا التي أنشأت المطبعة العربية الأولى والتي أمرت بطبع أعمال ابن سينا في 1586، شرع أمراء أوربيون في جمع وتحقيق المخطوطات العربية التي تشكل الآن نواة سلاسل الفاتيكان أو المكتبة البودلينية بأكسفورد bibliothèque bodléenne.

في القرن السابع عشر، بعد أن نسي شطط الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، ازدهرت الدراسات العربية. كانت دراسات الكتاب la Bible تنهل من

المصادر العربية والإسلامية المترجمة إلى أهم اللغات الأوربية. من بين هؤلاء الدارسين، نذكر: أسرة بوكوب الأب والابن وسيمون أوكلي وسال ورولان في إنجلترا. وكان Les Petits de la Croix مستشرقين خلال ثلاثة أجيال في فرنسا. وهناك ماراسي في إيطاليا. وكان أب الدراسات العربية في إنجلترا هو وليام بدول (1561ــ1632).

شهد القرن الثامن عشر ميلاد الاستشراق العلمي. في أنجلترا، واصل وليام جونس، وهو ضابط في شركة الهند Compagnie des Indes، العمل الذي كان قد باشره في كالكوتا بنشره ترجمات من العربية والفارسية والعديد من لغات الهند ودشّن بحوثا تحت رعاية الصندوق الشرقي للترجمة Oriental Translation Fund. هذا الحماس من أجل الترجمة تمّ نقله أيضا للإخوة أوسلي بين 1830 و1840 تقريبا. في فرنسا، نشر العالم ديربيلو عملا جبارا : المكتبة الشرقية la Bibliothèque Orientale (وهي الطبعة التي صدرت بعد وفاته في 1867 بفضل قالان) قرنا قبل تأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس (1795) حيث درّس فيه العالم المشهور سيلفستر دي ساسي. كما تأسست أول مجلة استشراقية متخصصة بالألمانية من قبل الدار المشهورة فون هامر برقستال (1774ــ1856). في القرن التاسع عشر، توسّع المجال الاستشراقي بفضل ميلاد العديد من الجمعيات العلمية التي عنيت بشكل غير مباشر بالترجمة. بيد أن جلّ المستشرقين المشهورين، خاصة في ألمانيا، كانوا من بين المختصين في دراسة الكتاب la Bible والدراسات الإسلامية والسامية: نولدكي وقولدسسيهر وفلهوزن.

في مجال ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغات الأوربية، فإن أبرز الأسماء هي : أنطوان قالان (1646ــ1715) الذي عرّف بألف ليلة وليلة لأوربا قاطبة بين 1704 و1717 (هذه الترجمة كان لها نجاح منقطع النظير على عكس

ترجمته للقرآن، وقد ساهمت في ميلاد الرومانسية[5]) وكذا اسم ريتشارد برتـــون المستكشف الإنجليزي الذي ترجم ألف ليلة وليلة في حوالي 1880 بالإكثار مـــن الملاحظات ذات الطابع الأنتروبولوجي أو الإتنوغرافي. غير أن أبرز ترجمـــة شهدها القرن التاسع عشر لم تتم انطلاقا من العربية بل من الفارسية. وقد كـــان لها نجاح جمّ. يتعلق الأمر بـــ "رباعيات الخيام" التي نشرها فـــي 1859 إدوارد فيتزرالد بإنجلترا، والتي هي عبارة عن اقتباس وإعادة صـــياغة علـــى خـــلاف ترجمات كالدرون.

فيما يتعلق باللغة العربية، فإن الجهود في مجال الترجمة تمت انطلاقا من العربية ليس إلا وهذا منذ نهاية مدرسة بغداد. كان لا بدّ من انتظار القرن التاسع عشر كي تحـــصل الترجمـــة صـــوب العربيـــة ثانيـــة. كـــان محمـــد علـــي (1804ـــ1849)، الباشا ثمّ نائب ملك مصر، يرغب في تحديث بلده أيما رغبـــة بحيث أرسل رجالا إلى فرنسا وإنجلترا للتكوين وقد كلّفهم بترجمـــة المؤلفـــات العلمية والتقنية إلى اللغة العربية. وأشهر هؤلاء المترجمين هو الطهطاوي. في نهاية القرن التاسع عشر، سواء في مصر أو في سوريا، شجعت الصلات القوية مع الغرب الأدبي والصحافي بروز صحافة عربية وأجنبيـــة بمـــصر. تـــرجم المنفلوطي آثارا أدبية إلى العربية. هذه الأعمال الغربية المترجمة شجعت أجناسا ظلت مجهولة في العالم العربي مثل الرواية التاريخية على طريقة ولتر ســـكوت أو الآثار المسرحية المستوحاة من محاكاة لشكسبير أو هيجو.

يشير خوري في رسالة الدكتوراه حول المترجمين العـــرب بلبنـــان بـــين 1840 إلى 1905 إلى أن جهد الترجمة المشجع من قبل اليسوعيين الفرنـــسيين ممن انتموا فيما بعد إلى ما يعرف بجامعة سيدنا يوسف وكذا مـــن قبـــل دعـــاة

5- الرومانسية romantisme مذهب في الفكر والأدب يدعو إلى تغليب الأحاسيس والعواطف على العقل والخيال على التحليل النقدي. (المترجم).

التنصير الأمريكيين بعد ذلك، قوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويذكر بخاصة فيما يتعلق بالأعمال الأدبية أو العلمية الفرنسية، الشرتوني وجرجي زيدان والمساكي وبالطبع أعضاء أسرة البستاني. بالنسبة للأعمال الإنجليزية، يذكر أسماء حوراني وداغر. هناك أدباء ترجموا أيضا من التركية في الوقت الذي كانوا يتعاطون فيه مهام أخرى: رجل القانون ن. النقاش والمحامي م.ر الرفاعي ورجل السياسة خليل حوري. غير أن الترجمة لم تكن تعدّ عملا نبيلا مما جعل بعض المترجمين اللبنانيين ينزحون إلى مصر: صرّوف وزيدان وفرح أنطون و ن. حداد (أنظر G.R Khoury, Bibliographie raisonnée des traductions publiées au Liban à partir des langues étrangères de 1840 jusqu'aux environs de 1905, Paris 1966).

بعد ذلك، تواصل جهد الترجمة في الشرق الأوسط مع رجال أمثال جورج طرابيشي وسهيل إدريس مترجم سارتر. في لبنان، وضع كل من أ. دالفرني وج.ن. نجار مصنفات تعليمية في الترجمة. في الجزائر، ترجم عبد الله مازوني قصصا قصيرة مصرية في حين ترجم حنفي بن عيسى مولود فرعون إلى العربية بينما ترجم مارسيل بوا كتّابا جزائريين إلى الفرنسية. أما جامعيو بعض البلدان الغربية فقد عنوا بترجمة بعض النصوص النادرة. بالنسبة لفرنسا، نذكر شارل بيلا وأندري ميكال وجاك بيرك وجان لوسيرف على سبيل المثال.

4 ــ ترجمة النصوص المقدسة: هناك بعض الأديان مثل الإسلام تصرّ على أن النص المقدس يجب أن يقرأ باللغة التي نزل بها. أما البعض الآخر فيجيز الترجمة. إن هذه النصوص، لما كانت تشكل الأثر المرجعي بامتياز، فإنها كانت أولى النصوص المترجمة. إن مبيعات الكتاب La Bible على أيامنا هامة جدا ــ فالكتاب هذا هو الكتاب الأكثر ترجمة في العالم: في 1957 كانت هناك ترجمات له في 1108 لغة والحال إن ترجمة الكتاب المقدس

أصبحت فرعا خاصا للترجمة برز فيه شارل تابير وأوجين نايدا.

فيما يتعلق باليهودية، فإن النصوص المقدسة المدونة بالعبرية والآرامية قد ترجمت مبكرا إلى اليونانية. والحال إن "Pentateuque" هو التسمية التي أعطاها المترجمون للكتب الخمسة الأولى من التلمود.

فيما يتعلق بترجمة الكتاب المقدس، دوّنت كتب العهد القديم بالعبرية أو الأرامية في حين أن كتب العهد الجديد دوّنت باليونانية. تدعى الترجمة الأولى للعهد القديم، التي تمت باليونانية، والتي ترتقي إلى القرن الثالث ق.م، ب " Septuagint " أو بـ "Version des Septante" (أي 70 أو على وجه التدقيق 72 حكيم يهودي) وتمت في الإسكندرية. وترجم مجموع الكتاب المقدس لأول مرة إلى اللاتينية من قبل سان جيروم (384) وظلت معروفة باسم بـ "vulgate ". وكانت بمثابة أولى الكتب التي نشرت بأوربا (كتاب ماينس حوالي 1455) وهذه النسخة اللاتينية ظلت مدة طويلة مرجعا لا غنى عنه. غير أن الشعب لم يكن يفهم اللاتينية وكان لا بدّ من ترجمة الكتاب إلى اللغة الدارجة. وهذا ما قام به كل من فكليف (1380ـ1384) وتيندال (1525) بإنجلترا قبل أن تظهر النسخة الرسمية في 1611 بطلب من الملك جيمس الأول بوصفه رئيس الكنيسة الأنجليكانية. هذا النص من القرن الثامن عشر، المسمى بـ "النسخة المرخص بها" version autorisée كانت لها أهمية كبيرة سواء على الصعيد الديني أو السياسي وظل نموذجا أسلوبيا إلى غاية بداية القرن العشرين. أما الآن فقد تغلبت عليها في إنجلترا وأمريكا النسخة المسماة نسخة يال version de Yale (1952).

في ألمانيا، ترجم المصلح الكبير مارتن لوثر الكتاب إلى الألمانية (1534)، الأمر الذي جعلها لغة بلاده تستقر. في نفس الفترة تقريبا، ترجم أحد

دعاة الإنسية humanisme [6] المشهورين ألا وهو الهولندي إرسموس العهد الجديد إلى اللاتينية (1516). منذ فجر القرن السابع عشر، أخذت جمعيات إنجيلية تتأسس في أوربا الغربية كلها من أجل ترجمة ونشر الكتاب إلى لغات دارجة مختلفة ثمّ وخاصة ابتداء من القرن التاسع عشر، إلى لغات مستعملة في الأماكن القاصية من العالم. وهكذا وضع القيمون على الفنادق الأمريكيون نسخة من الكتاب تولت نشرها " Gideon Society في كل غرف الفنادق.

أما فيما يتعلق بالقرآن، فإن المسألة الكلاسيكية المرتبطة بترجمة النصوص المقدسة (روح النص، الصور والمجازات إلخ) طرحت بشدة أكثر نظرا إلى أن بعض المسلمين يترددون في ترجمته. بيد أن هذا لم يحل دون نشر بعض الأوربيين لترجماتهم التي لم تكن كلها وفية ، ذلك أن أصحابها كانوا في البداية يسعون أحيانا إلى تسفيه معتقدات المسلمين.

إن الاهتمام الذي أولاه الأوربيون للقرآن نشأ مع بطرس المحترم Pierre le vénérable : بعد إقامته في طليطلة كلّف فريقا بجمع وترجمة مخطوطات عربية، ولكن بقصد إبطالها وتسفيهها. في 1530، نشر نصّ قرآني بالعربية في البندقية وأعاد بيبلانديي نشر الترجمة اللاتينية لروبير كتون ببال في 1543. الترجمة الأولى الإنجليزية التي قام بها ألكسندر رو لم تعتمد على مصادر عربية، بل على ترجمة فرنسية. وكان لا بدّ من انتظار 1698 لكي يطّلع العالم الإيطالي مارانتشي على المصادر الموثوق بها: غير أن عمله كان معاديا للإسلام إلى حدّ بعيد. في 1734، نشر الإنجليزي جورج سال (وفي 1783 الفرنسي كلود إتيان سافاري) عملا علميا ذا بال لا يزال يعتمد اليوم.

في القرن التاسع عشر، أدت العناية بحياة الرسول إلى حمل بعض العلماء إلى ترجمة القرآن، خاصة إلى الألمانية ــ كانت ألمانيا في تلكم الفترة تجري

6- مذهب فلسفي يضع الإنسان والقيم الإنسانية فوق القيم الأخرى. (المترجم).

العديد من البحوث في مجال دراسات الكتاب المقدس والساميات études sémitiques[7]، علما بأن الدراسات العربية والإسلامية لم تكن سوى فرع ثانوي غايته إلقاء الضوء على التراث الكتابي (نسبة إلى الكتاب المقدس) خاصة. نشر فلوجل القرآن في 1834 وترجمه قوستاف فيل في 1844 (غر أن مصادره كان مشكوكا فيها) كما فعل ألوي برنقر في 1861. أما العمل الذي لقي النجاح الباهر فهو عمل نولدكه: Gechichte des Qorans (1860) الذي فاز بجائزة أكاديمية الآداب الجميلة بباريس في 1857. أولت إنجلترا كذلك مكانة هامة للدراسات الإسلامية. ترجم الرحالة أ.و. لاين جزءا من القرآن في 1843 ونشر مواطناه ج.م. ردويل(1861) وأ.هـ. بالمر (1880) ترجمة له.

في القرن العشرين، ترجم العديد من العلماء القرآن من بينهم ريتشارد بل (1937ـ1939) وريجيس بلاشير(1947ـ1951) بفرنسا.

وهكذا لا تزال ترجمة النصوص المقدسة متواصلة وتشكل فرعا هاما من علم الترجمة. قد حصل تقدم جمّ منذ القرن السابع عشر أو الثامن عشر، حين عني المترجمون بنقد المصادر وتخلوا عن الرؤى التمجيدية التي تميز بها المترجمون الأوائل. بيد أن ترجمة النصوص المقدسة التي أثّرت أيما تأثير في تاريخ البشرية هي بلا ريب ترجمة الأخوين سان يريل وسان ميتود اللذين قام بتنصير البلغاريين في القرن التاسع وترجما الأناجيل إلى السلافية وابتكرا الحروف السيريليةcyrilliques المستعملة في الإتحاد السوفياتي، حيث ازدهرت الترجمة أيما ازدهار. لا ينبغي أن نبرح مجال ترجمة الإنجيل دون الإشارة إلى الفيلسوف أوريجنوس مؤسس النقد النصي في حوالي 250، الذي جمع في ثلاثين مجلدا لـ Hexaples النسخ الست لنصوص الكتاب المقدس المعروفة في ذلك الوقت.

7- أي الدراسات التي تعنى باللغات والثقافات السامية (كالعربية والعبرية). المترجم.

5 ــ الترجمة في أوربا: إلى غاية النهضة، كان المثقفون يقـــرؤون بـــل ويتحدثون باللاتينية وأحيانا باليونانية. هذه اللغة العالمية كانت تغني الناس عـــن الترجمة وتيسّر التبادلات. ومن اللافت للنظر أن بعض العلماء كانوا يكثرون من السفر والترحال: فإرسموس مثلا قد درس أو درّس بإنجلترا وفرنسا وإيطاليـــا. سبق أن رأينا أن طليطلة قد اجتذبت علماء جاؤوا من أوربا كلها.

غير أنه في فرنسا مع فرواسار (مستخلف جوانفيل) وفـــي إيطاليـــا مـــع بوكاش وضعت آثار ذات قيمة باللغة الدارجة في نهاية القـــرن الثالـــث عـــشر وبدأت الترجمة تزدهر. وبشيء من التأخر، شرعت إنجلترا في الكتابة بلغة البلد ولكن الأمر كان يتعلق بالأحرى بترجمات انطلاقا من اللاتينية والفرنسية إلـــى إنجليزية ملحونة. في حـــوالي 1380، وضـــع الـــشاعر الإنجليـــزي الكبيـــر تشوسر، وهو نفسه مترجم، قصيدة مشهورة "حكايات كانتربوري"، مكّنت مـــن توحيد اللغة الإنجليزية. واصل صنيعه هذا مواطنه كاكستون الذي كان مترجمـــا رديئا، ولكنه أدخل الصحافة بإنجلترا (1474) والذي فرض نوعا مـــن الوحـــدة على اللغة الشعرية الإنجليزية. وهكذا، في القرن الخامس عشر، أدت الطباعـــة (مع جوتنبرغ في ألمانيا حوالي 1430 وكاكتون بإنجلترا وكـــذا بـــروز طبقـــة التجار الأثرياء) إلى تزايد الطلب على كتب التسلية، التي كانـــت فـــي الغالـــب ترجمات أو اقتباسات إلى اللغة الدارجة انطلاقا من المصادر اليونانية واللاتينية أو الإيطالية.

ظلت هذه المصادر الثلاثة مهيمنة في القرن الخامس والسادس عشر خلال النهضة. في حوالي 1450، بفلورنسا، أسست أسرة ميدسيس مدرسة جديدة مـــع بليتو وفيشينو اللذين ترجما أفلاطون. كان هذان الرجلان ينشران الأفكار التـــي تبناها إرسموس فيما بعد: لأول مرة، تمّ الوقوف بدقة على ما كان ينوي قولـــه صاحب النص الأصلي. غير أنه في باقي أوربا كان الأمر يتعلق بالاقتباس أكثر منه بالترجمة.

كان مترجمو الملكة إليزابث بإنجلترا (نورث في حوالي 1580 وخاصة هولند في حوالي 1600) نشطين جدا بحيث خصص الناقد ف.أ. ماتيان دراسة في 1931 لـ "الترجمة بحسبانها فنا إليزابثيا"[8] La traduction, art Elizabéthain . أشتهر مونتاني وبلوتارخوس لدى جمهور إنجليزي واع، ولكن ترجمة الأشعار لم تكن ذات جودة عالية. شهدت فرنسا نفس الزخم وإن كان فوضويا بعض الشيء في نهاية القرن الخامس عشر، بيد أن الأعمال الجليلة قام بها كل من أميوت ودولي. في حوالي 1560، ترجم أميوت بلوتارخوس بطريقة علمية بتمحيص المصادر. غير أنه غيّر روح اليونانية بجعلها راوية ساذجة. وكان بعض الرجال قد سبقوه في التفكير في فن الترجمة: كان لوثر قد نشر Sendbrief Von Dolmetschen في 1530 كما نشر الفرنسي دولي كتابه الموسوم بـ Manière de bien traduire d'une langue à une autre (طريقة لإتقان الترجمة من لغة إلى أخرى) في حوالي 1540. قبل ذلك باثنتي عشر سنة، نصّب دو بيلي نفسه مدافعا عن اللغة الوطنية ولم ير في الترجمة سوى وسيلة لإثراء المصادر. إن شاعر لا بلياد La Pléiade، الذي ترجم بنفسه الـ Enéide (1552) قد بيّن في كتابه Défense et illustration de la langue française (1549) بأنه لا بدّ من حماية لغة بلاده من اللاتينية والإيطالية، حتى وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى الترجمة في مرحلة أولى.

كان العهد الكلاسيكي (من نهاية القرن السادس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، حسب البلدان) العصر الذهبي لترجمة الأشعار القديمة اليونانية واللاتينية. لقد انبرى الشعراء يترجمون في أوربا كلها، وحاكاهم العديد من رجال الأدب. بيّن روجي زوبر في الرسالة التي خصصها للترجمة في فرنسا

8- نسبة إلى الملكة إليزابث.

بين 1625 و1665 كيف ساهمت الترجمة الحرة (أي ما يعرف ب "الخائنات الجميلات"[9] لبيرو أبلانكور وأتباعه) في صقل الذائقة الكلاسيكية بدافع ما كان يسمى آنذاك ب "النثر الجميل" و" تمارين أسلوبية" exercice de style.

أصبحت الترجمة منذ أميوت والقواعد الخمس التي وضعها دولي، جنسا قائم الذات، غير أنها شهدت أوجها في حوالي 1640 مع بدايات الأكاديمية الفرنسية وانتقال أفكار كونرارت وجيز دي بلزاك إلى الأدب. هذا الإنتاج الضخم خضع لمذهب منسجم. كان المترجمون واعين بطرافتهم وحريصين على إغناء اللغة الفرنسية بمحاسن العصور القديمة بواسطة ثقافة واسعة وليس بالتعالم. كانوا يتحملون عناء الترجمة بكثير من الصبر، ويبلورون عن وعي طريقة للعمل. ذلك أنه رغم "خياناتهم" كانوا أكثر دقة من أميوت ومترجمي النهضة، لأنهم كانوا دائما يبررون تصرفهم في ترجمة النصوص (فالترجمة الحرفية لم تكن تعتمد إلا عندما يتعلق الأمر بالنصوص المقدسة). فهم يرون بأن حكمة شيشرون وسان جيروم (مدّ القارئ لا بنفس الكمية بل بنفس الوزن) تبرر الزيادات والحذف والتحويرات التي تمسّ النص بدافع مراعاة الأسلوب وقوة الإبداع وسلاسة التعبير أو المنطق والتناسق الداخلي). سنرى لاحقا طريقة مشابهة بعض الشيء: طريقة التأويل. إن جميع أتباع الكلاسيكية (ديكارت، جيز دي بلزاك، فوجلاس، جنسانيو بور روايال) عنوا بالترجمة. غير أنه منذ 1650، أدى التنافس بين العديد من المترجمين ــ دعاة التصرف في النص الأصلي من جهة والجنسانيون الحريصون على الوفاء للنص الأصلي من جهة أخرى ــ إلى خنق الترجمة في فرنسا. في نهاية القرن السابع عشر، تحوّل المترجمون إلى علماء في فقه اللغة ولم يعودوا مبدعين ملهمين. (لمزيد التفاصيل أنظر: R.Zuber, Pierrot d'Ablancourt et ses "belles

---

9- المقصود بها الترجمات الجميلة ولكن غير الوفية للأصل. (المترجم).

infidèles". Traduction et critique de Balzac à Boileau. Thèse Lettres, Paris, 1968).

في نهاية القرن السابع عشر، أخذ الشعراء يترجمون، لكن بجعل الأبطال القدامى ينطقون بالأسلوب المتكلف السائد في عصرهم وبحذف كل ما كان يزعجهم دون حرج أو وازع. في فرنسا، وضع هوي Houis مصنفا تاما في الترجمة: De Optimo Interpretandi (1961, 1680). في إنجلترا، أخذت تتجلى البوادر الأولى للإساءة إلى ممارسة الترجمة وذلك من خلال تكاثر الترجمات السريعة المبتورة وأحيانا القرصنية pirates على هدي "Grub Street ". كان الوضع السياسي بين 1688 و 1700 (سقوط الملكية وبعثها) متدهورا بحيث لم يعد ممكنا التعويل على راع، وهكذا ألفى شاعر كبير من طينة دريدن مصدرا جديدا للاسترزاق في الترجمة لتلبية حاجات البرجوازية الجديدة للثقافة العتيقة. غير أن دريدن تصرف بحرية إزاء نصوص القدامى الذين ترجم لهم بين 1684 و1700 باعتماد الزيادة والحذف وحتى التحوير. وهناك شاعر أنجليزي كبير آخر، يدعى بوب، الذي ترجم لهوميروس في 1715 و1726، ارتكب نفس الأخطاء.

تمّ الإعلان عن الرومانسية منذ 1760 بفضل النجاح الباهر الذي ظفرت به ترجمة قصيدة غائلية gaélique عنوانها Ossian قام بها ماكبرسن. وكان الأمر يتعلق في الواقع لا بغش كما شاع ذلك مدة طويلة لأن الأصول (في اللغة الإرسية) كانت موجودة حقا، بل بالأحرى بتصرف لا يستهان به.

وفضلا عن العناية الرومانسية باللغات أو الثقافات التي حجبت مدة طويلة بسبب عبادة العهود القديمة، فلقد شهدت بداية القرن التاسع عشر إقبالا على اللسانيات الناشئة، ومن بين منظريها الألماني فون هومبولدت، صاحب كتاب عنوانه بالفرنسية Sur la différence de structure des langues(1820) (في اختلاف بنية اللغات). إن تاريخ الترجمة لا ينفصل عن التاريخ الأدبي

لاسيما في ألمانيا حيث صرّح العديد من الشعراء الرومانسيين بأن الترجمة "هي القدر الداخلي للغة الألمانية". وقد صرّح الشاعر الألماني نوفاليس وهومبولــدت بأن كل تواصل هو بمثابة ترجمة. إن الشاعر والمسرحي الألماني غوتــه علــم بارز بفضل نشاطه الهائل والعدد الكبير من اللغات التي عني بهــا: الإيطاليــة، اللاتينية. عالجت بعض أشعاره موضوع الترجمة وكان مولعــا بالانتقــال مــن الموسيقى إلى اللغة. يوجد بملحق كتابــه West-Östlicher Divan (1813) الأفكار التي صاغها حول الترجمة. أما الشاعر الإنجليزي شيلي، الــذي كــان بدوره رومانسيا ولسانيا، فقد هيمن في مجال الترجمة في الفترة عينها، بترجمته لهوميروس ويوريبدوس وغوته وكالديرون ودانتي وبوفون. وصف في كتابــه Defense of poetry (1821) تفاهة مهمة المترجم بدعوى أن الــسعي إلــى ترجمة الشعر تافهة كتفاهة من يلقي بالبنفسج في مصهر فرن أملا في النفاذ إلى جوهر لونها وعطرها، فهو يرى بأن الترجمة الجيدة يجب أن تكون عملا فنيــا آخر ــ وهذا ما سيشكل بعد ذلك بكثير نظرية بودلير الذي ترجم هو نفسه إدغار آلان بو. كان شيلي يعدّ الترجمة تجربة شعرية ووحيا وعزاء.

بفضل التجديد الرومانسيي الذي حصل في أوربا كلها، أضحت الترجمــة أخف وأقل حذلقة. وهكذا اختفت عبادة الأساليب العتيقة البالية التي جاء بها أتباع دريدن وبوب في حوالي 1870 مع بنيامبن جويت في إنجلتــرا الــذي تــرجم أفلاطون إلى اللغة الدارجة. غير أن هذه النزعة الجديدة لم تقم لها قائمة إلا بعد فترة طويلة وربما ذلك مردّه إلى أن ترجمة الأشعار ظلت ردحــا طــويلا مــن الزمن تعتبر جنسا نبيلا. بيد أن ترجمة المؤلفات النثريــة بــدأت تزدهــر فــي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولــم يأفــل نجــم الترجمــة المــسماة بــ "الترجمة الأدبية" إلا بعد 1945.

أما اليوم، فقد تطورت الترجمة أيما تطور، فمن جهة، شجعت مقتــضيات

العالم العلمي والاقتصادي نشأة الترجمة التقنية مباشرة بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة. كمـا أثّـر تطـور علـوم الاتـصال والمعلوماتيـة وحتـى السيبرنطيقاcybernétique في الترجمة التي أصبحت فرعـا مـن اللـسانيات التطبيقية بمعية تعليمية اللغات didactique des langues. وقد حصل انشطار بين المترجم التقني أو المتخصص، الذي يتقاضى أجرا جيدا، ولكنه مطالب بأن يعمل بسرعة ومن ثمّ فهو لا يستطيع أن يقوم بترجمة جيدة متقنـة، والمتـرجم الأدبي الذي لا يتقاضى أجرا مقبولا، ولكنه لا يزال يمثل الفـرع النبيـل مـن المهنة. هناك انشطار آخر بين المترجمين والتراجمة interprètes الذين تكرّس سلكهم منذ منتصف الحربين العالمتين. فبينما يبدو الأوائـل بمثابـة المتقبلـين tâcherons ، يحاط الآخرون بشهرة وصيت بيّن. ومع تـسارع الاتـصالات أصبح دور هؤلاء الأخيرين أكثر أهمية وفي 1953 إزاء تكاثر عدد التراجمة أو المترجمين، تمّ أخيرا الاعتراف الرسمي بمنزلة المهنة هذه. وأخيرا انفتح مجال جديد للترجمة: دبلجة doublage الأفلام. غداة الحرب العالمية الثانية، تعـددت المؤتمرات الدولية وفتحت مدارس متخصصة. لأول مـرة، أضـحى تكـوين المترجم والترجمان يتمّ بطريقة علمية.

6 ــ الترجمة في الأدب الأوربي: المترجم، هذا الكـائن الـشفاف الـذي يمّحي أمام عمل الغير لم يلهم كثيرا من الكتّاب. فلا نجد فـي الأدب الفرنـسي سوى حالة الترجمان العسكري التي يعرضها علينا أ. موروا فـي كتابـه Les silences du colonel Bramble (1918) وكتابـه Les discours du Major Or Grady (1921) بكثير من الصدق لاسيما وأنه هو نفسه ترجمـان عسكري. بالنسبة للأدب الإنجليزي يمكن الإشارة إلى كتاب The adventures of Calib Wikkiams (1794) الذي وضعه أ. قودوني حيث يختفـي بطلـه قصد الإفلات من العدالة ويعتاش من ترجماته في الأحياء البائسة للندن، والبطل

الإرلندي غير المسؤول بعض الـــشيء فـــي Under the net (1956) لإرس مردخ. أما ك. بروك ــ روز التي هي بدورها ترجمانة وأحد أعــضاء حركـــة الرواية الجديدة، فتروي قصة ترجمان يسافر بين مـــؤتمرين فـــي "Between" (1968). هناك عملان صغيران يقــدمان تـــراجم: The russian interprete (1966) وهي رواية لـــ م. فراين وقصة قــصيرة فـــي " Peoples in glass houses (1967) لـــ س. هزار الذي اشتغل في الهيئات الدولية.

لئن كانت صورة المترجم لا تحظى بمكانة ذات بال في الأدب فإن العديد من الكتّاب قد أعملوا النظر في طبيعة الترجمة ومشاكلها. فيما يلي قائمة غيـــر وافية بأسماء الكتّاب الذين برزوا في الترجمة:

- بالنسبة لإنجلترا أو أمريكا:

دريـــــدن (نهايـــــة القــــرن 17)، بـــــوب (القــــرن 18)، شـــــيلي (حوالي 1820)، فيتجرالد ومانيو أرنولد (القرن 19)، إزرا بونـــد ونـــابوكوف (القرن 20).

- بالسنبة لألمانيا أو النمساء:

شوبنهاور (من الإسبانية)، شليقل (منظر المدرســـة الرومانـــسية، تـــرجم أعمال دانتي وكالــديرون وســـرفانتس ويوريبيـــدس وشكـــسبير فـــي بدايـــة القرن 19)، غوته (في الفترة نفسها، من اليونانية والفرنسية خاصة).

فرويد (المؤلفات الإنجليزية بين 1880 و1930) وروني ماريـــا ريلكـــه (جيد في والي 1920).

- بالنسبة لإسبانيا: في القرن 17 تـــرجم أليمـــان وكيفيـــدو: القـــدامى Les Anciens، في القرن 19، ترجم دي لارا مسرحيات فرنسية. أمـــا جــلّ الـــشعراء للعشرينيات فد برزوا في الترجمة بمعية ج. قيلبـــان (متـــرجم بـــول فـــاليري) وج. جيمناز. ودائما في القرن العشرين، نذكر م. ألبرتي (مترجم بودلير وإيلوار وأراغون)

وج. ميرو وكذا ج. أرتيقا إي قاسي مبتكر العقلانية الحيوية ratiovitalime.

– بالنسبة لروسيا: الشاعر قسطنطين بالمون (بداية القرن 20) الذي ترجم من اللغة النورويجية (إبسن) ومن الإنجليزية (بو، شيلي) والإسبانية (كالديرون) والألمانية (سودرمان).

– بالنسبة لإيطاليا: دانتي (حوالي 1300) وليوباردي (حوالي 1820) وب. كرونتشي (بين 1920 ـ 1940).

– بالنسبة لفرنسا:

ـ في القرن 18: السيدة داسيي، ديدرو، أ. قالان، القس بريفو وخاصة فولتير الذي اقتبس بعض أعمال القدامى وعرّف بشكسبير وملتون للجمهور الفرنسي العريض.

ـــ في القرن 19: شاتوبريان، ك. نوديي (المسرح الإيطالي والإنجليزي)، فوفال (من الإسبانية والألمانية: غوته)، السيدة دي ستائل (الألماني شيلر) وريفارول، ك. مالرمي (عدة أعمال ألمانية من بينها أعمال غوته وشيلر)، الشاعر الأمريكي لونقلو (المسرح الدانماركي)، أ. دو فينيي (شكسبير) وج. ساند (شكسبير وععل بولوني)، أ. درما (من الألمانية وشيلر)، لويز كولي (شكسبير)، وميريمي (الألمانية والروسية)، بودلير (الذي عرّف بالأمريكي إ. أ. بو)، لوكونت دو ليل (المرح الإغريقي)/ نالارمي. إبن ف. هيجو: فرانوا فيكتور الذي خصص عدة سنوات لترجمة شكسبير.

ـ في القرن 20: ق. أبولينار (المسرح الإيطالي)، أ. صماني (اليونانية)، ب. كلوديل (المسرح الإغريقي)، ج. ريشبان (شكسبير)، م. ماترلنك ج. سوبرفيال، ب. فاليري، أ. جيد (اقتب كافكا، المسرح اليوناني، غوته، شكبير)، ج. أنوي (شكسبير)، هـ . دو مانتيرلان (اقتباس من البرتغالية)، ف. لاربو (الكاتب الإنجليزي جوس)، إ. فريولي (من الروية)، م. بانيول (ترجمة

"شعبية" لشكسبير)، أ. كامو (الإسباني لوبي دي فيقا).

ومن المنظرين للترجمة، كثيرا ما تذكر أسماء:

Etienne Dolet, Manière de bien traduire d'une langue à l'autre, 1540.

Joachim du Bellay, vers 1950.

Nicolas Perrot d'Ablancourt

التي أثارت ترجماته للكتّاب القدامى سجالا حول "الترجمات الخائنة الجميلة" Les belles infidèles في فرنسا في حوالي 1650.

Dryden, Préface à une trad. d'Ovide (1680)

Alexandre Fraser Tytler, Essay on the principals of translation, 1791

Shelley, A defense of poetry, 1821

Hilarie Belloc (anglais), On translation (1931)

A. Gide, Lettre à André Thérine (1931)

Valéry Larbaud, Sous l'invocation de St Gérome (1946)

7 ــ إحصاء الترجمات: رغم تطور المعلوماتية الهائل، إلا أن هناك عملا جمّا لا بدّ من القيام به في هذا المجال. غير أن عصبة الأمم قد بادرت منذ 1932 بنشر دليل عالمي الذي تتولى نشره اليوم اليونسكو. إن الدليل الإحصائي لهذه الهيئة يوفر جداول مقارنة ومفصلة. وهكذا فإن المجلد الخاص بسنة 1973 يخبرنا بأن الإتحاد السوفياتي هو البلد الذي نشطت فيه الترجمة (4730) أمام الألمانيتين الموحدتين. أما إسبانيا والدانمارك فقد نشرا أكثر من 3000 كتاب، متقدمين على الولايات المتحدة وإيطاليا واليابان بشكل بيّن. ونشرت فرنسا وهولندا أقل من ذلك: 2000 كتاب تقريبا، أي 500 كتاب أكثر من يوغسلافيا والسوي. بعد ذلك، نجد بلجيكا والمجر والنورويج والبرازيل بحوالي 1000 عنوان، ثمّ تلي قائمة البلدان التي يقلّ إنتاجها. إن هذه الأرقام والمراتب تتغير من سنة إلى أخرى، غير أنه بالنظر إلى المجوع، نجد أن ترتيب 1973 يعكس الواقع بالنسبة للعشرية هذه بشكل جيد.

لم تكن اليونسكو المؤسسة الوحيدة التي وضعت غداة الحرب برنامجا واسعا بقصد تشجيع الترجمة لتعزيز التبادلات الثقافية ونشر المعرفة. كل هيئة كبرى تحتوي على مصلحة للترجمة هامة جدا أحيانا (فالمجموعة الاقتصادية الأوربية، في بعض المراكز، تخصص قرابة 40% من ميزانيتها لهذه المصلحة). في دلفت بهولندا، ينشر المركز الأوربي للترجمات مصنفات بيليوغرافية متنوعة تسمح بجرد وحصر الترجمات الموجودة:

ـ Translation Journals (دوريات أوربا الشرقية المترجمة في أوربا).

ـ List of translation notified to ETC (قائمة مقتنيات المركز الأوربي للترجمات).

ـــ World index of scientific translations (قائمة الترجمات العلمية في العالم).

وفضلا عن هذا هناك بلدان كلفت هيئة بجرد وحصر الترجمات. ففي فرنسا مثلا، أشرف المركز الوطني للبحث العلمي CNRS الذي يتوفر بعد على مصلحة خاصة للترجمة في مركز التوثيق، على نشر ورعاية الدليل البيبليوغرافي للترجمات والاقتباسات الفرنسية للمسرح الأجنبي، الذي تواصل صدوره من 1958 إلى 1967.

8 ـ الخلاصة: على خلاف ما هو معتقد، فإن الترجمة ليست بنشاط حديث العهد. كما أنها ليست بعلم حديث: فلئن كانت قد تبوأت منزلة مشرفة في كتابات اللسانيات التطبيقية، فإن وجودها كان سابقا لهذه الأخيرة، وكانت حينذاك فرعا من الأدب المقارن (بداية القرن 20) أو الأدب. وفي هذا الباب، أحصى قوستاف لونسن، بالنسبة لفرنسا، جميع الترجمات التي تمّت بين 1500 و1900 في كتاب هائل سماه Manuel bibliographique de la littérature

française (1912) وقد أشار إلى مؤرخين للترجمة. ففي المجال الإنجليــزي ــ الفرنسي وحده، يلفت انتباهنا زخم الترجمات في القرن 18 أو نشاط أوقــست دوفو كميري وكذا ابنه شارل منافسي ابن فيكتور هيجو وهذا في القرن الموالي. ومنذ القرن 16 بأوربا، شوهد ميلاد العهد الذهبي للترجمة ــ التجنــيس التــي لا تخشى شطط " الخائنات الجميلات". أما المنعطف الأكبر الــذي أذن بتعقــل وتطبيع الترجمة فقد تميز في 1971 بصدور عمل تيتلر الموســوم Essay on the principls of translation . كما حصل منعطف ثان أقرب منا وهو ذلكم الذي شهد ميلاد التقنيات الجديدة (الترجمة الفورية للمؤتمرات، الترجمة الآليــة) وهيمنة الترجمة التقنية التي تستأثر اليوم بحصة الأسد من الوجهة العملية وليس في نظرية الترجمة.

يسود الاعتقاد بأن الشخص الذي يحسن عدة لغات يمكنه أن يحلّ محل الترجمان وأن الطالب في قسم اللغات يمكن أن يترجم بيسر، أي أن الكفاءة اللغوية تفترض الكفاءة في الترجمة. والحال إن الأساتذة يدركون أن معرفة اللغات ليست سوى مقدمة وأن الترجمة، لاسيما الترجمة الشفوية، تقنية تستدعي كذلك معارف أخرى غير المكتسبات اللغوية. غير أن كل فحص نظري لمعرفتهم سيتمّ عبر اللسانيات، في حين أن الممارسة في جزئها الأكبر عملية.

1 ــ هل الترجمة أمر لا مفرّ منه؟

على غرار ما أثبته وبيّنه العديد من المختصين (ج. مونان، ر. لادميرال، ف. فرمولان)، توجد "مفارقة حقيقية للمترجم". وفضلا عن هذا، إن الترجمة هي النشاط الوحيد الذي يطرح، من وجهة قبلية، التساؤل حول إمكانية ممارسته. فهل تدفع أسطورة بابل بالناس إلى التفكير في أن الحالة المثلى هي الحالة التي سبقت الخطيئة وعقابها، أي الحال التي لم يكن فيها داع للترجمة؟ حقا لقد بدت الترجمة أحيانا بوصفها سلاحا ذا حدّين: لقد أساء خبر الــ EMS الذي ترجم بشكل سيء ("adjudant" الكلمة الفرنسية التي تعني "الجندي subalterne = الجندي المأمور أو الذي هو تحت إمرة ضابط سام، ولكنها تعني في الألمانية "صاحب الدرجة العالية") إلى كرامة الفرنسيين كما كان يرغب في ذلك بيسمارك وساهم في إشعال حرب 1870. إن العبارة القديمة "traduttore traditore" = المترجم خائن خوان) لا تزال تشكل تهديدا في ذهن المترجم.

لإحياء العهد الذهبي لما قبل بابل، حلم الناس بابتداع لغة عالمية. هناك محاولة لوضع " لغة هجينة" interlingua منسوخة على اللاتينية التي كانت في عهدها لغة عالمية. في الواقع، يتعلق الأمر بتجديد اللاتينية. هناك محاولتان

أخريان أكثر طرافة. المحاولة الأولى تمثلت في الـ volapük (المتفرعة عن الكلمات الإنجليزية world وspeak)، التي أشاعها في 1880 باحث سويسري يدعى ج. م. شليير. غير أن هذه اللغة، المستوحاة من لغة إنجليزية بالية، لم تكن متناسقة. بعد سبع سنوات، ودائما في سويسرا، اقترح الروسي ل. زامنهوف الإسبرنتو التي بفضل بساطتها الإفرادية والتركيبية (جميع الأسماء تنتهي بـ o والصفات بـ a، كما لا يوجد إلا تصريف واحد للأفعال، والكلمات تأتلف فيما بينها عن طريق الرصف juxtaposition) وكذا طابعها الدولي (فهي تغرف من عدة لغات) ولا تزال تستعمل اليوم من قبل مئات الأشخاص. ذلك أن دعاة الإسبرنتو نشطون جدا ويعقدون مؤتمرهم بانتظام كما أنهم يترجمون كثيرا (قرابة 600 عنوان). وعلى نحو مفارق إذن، نرى أن هذه اللغة العالمية تلتجئ إلى الترجمة كثيرا.

بيد أن اللغات العالمية تبدو منذورة للإخفاق لأنها يوتوبية utopiques ومصطنعة. اقترح س. سيكاتو في مقال له في جريدة La Stempa ، ذكرته جريدة Le Monde (" أخيرا هناك لغة عالمية" 20 أفريل 1980)، بعد أن شدّد على ضعف هذه اللغات "الطفيلية"، نظاما مشابها للسنن codes المستعملة من قبل القطاعات اللغوية الثلاثة ذات الاستخدام العالمي: السلاسل الرقمية، الرموز الكيماوية والكتابة الموسيقية. غير أن الأمر يستلزم ثلاثين سنة لإعداد هذا النظام.

هناك حلّ آخر يكمن في تعميم الازدواجية اللغوية. بيد أنه فضلا عن كونها سيقتصر على لغتين اثنتين، فإن المشاكل تظل هي هي تقريبا بما أن الازدواجيات اللغوية الحقيقية نادرة وأن الازدواجية الوظيفية أو الثنائية عرضة لتداخل لغة في أخرى. بالإضافة إلى هذا، بيّنت بعض التجارب بأن استعمال لغة ما ينحو إلى فرض ذهنية بعينها. في هذا الباب، عرض ف. فرمولان اختبار

المحادثة المقطوعة الذي أجري على يابانيات متزوجات بـأمريكيين ومقيمات بسان فرانسيسكو: في المحادثة باليابانية، تبدو الزوجات بأنهن نساء بيت، غير أنهن يبدين متحررات وراغبات في العمل كمعلمات حينما يتحدثن بالإنجليزية في نفس المقام. ولكن توجد حالات من الازدواجية الأدبية لافتة للنظر. ففي المجال الإنجليزي ــ الفرنسي وحده، كتب الإنجليزيان بكفورد (نهاية القرن الثامن عشر) وبيكيت (منتصف القرن العشرين) باللغتين. الأمر الأكثر طرافة هو أن Vathek (1782) و En attendant Godot (1953) ترجما إلى اللغة الأم التي يستعملها المؤلف. وقليلون هم المؤلفون الذين يكتبون بلغات ثلاث: نابوكوف كتب أولا بالروسية ثم بالفرنسية وأخيرا بالإنجليزية وترجم مؤلفاته بنفسه. لنذكر أيضا الروائي الكبير ج. كونراد الذي كتب أولا بالفرنسية قبل أن ينتصر نهائيا للإنجليزية. وتبدو حال ف. لاربو أكثر استثنائية ذلك أنه كان يستخدم عدة لغات في الآن نفسه: كان هذا الفرنسي يتكلم بالإيطالية مع زوجته ويحرر جريدته بالإنجليزية ويكتب بالإسبانية مقالات لجريدة أرجنتينية.

إن الترجمة إذن أمر لا مفرّ منه كما يدل على ذلك العدد المتزايد للكتب المترجمة. ولكن الترجمة، كما يرى العديد من اللسانيين وعلماء الترجمة، هي "داء ضروري". في الواقع، رغم الشعور بالإحباط الذي تثيره أحيانا لدى من يمارسها، فلا يجب التقليل من منجزاتها. لقد سبق لنا أن لاحظنا أن المترجمين العرب قد أنقذوا ونقلوا الإرث الإغريقي. كما ساهمت في الكشف عن أعمال برأسها. وهكذا فإن مؤلف ديدرو Le neveu de Rameau لم يكتب له الذيوع والانتشار في فرنسا إلا بعد نجاح الترجمة الألمانية له التي قام بها غوته في 1805 (ذكر هذا لادميرال، 1979، ص 97). كما ساعدت في توحّد وتوحيد لغات كما حصل ذلك في عهد مدرسة طليطلة بالنسبة للإسبانية القشتالية، والألمانية على عهد لوثر والإنجليزية على أيام شوسر

وكاكستون، والفرنسية على عهد دي بيلي. في هذا السياق، كانت للترجمة الفضل في ميلاد بعض الثقافات التي صقلت هي نفسها اللغة: وهكذا أفضت ترجمة أعمال بيترارك ومقلديه الإيطاليين إلى بروز أسلوب خاص في فرنسا (بيتراركية لابلياد في حوالي 1550) وفي إنجلترا (أفوية ليلي في حوالي 1580 euphuisme de Lyly). علاوة على هذا يمكن للترجمة أن تزود اللغة بنبرة جديدة: فأبولينار الذي كان مترجما أدخل في الأدب الفرنسي عن قصد نبرة تذكرنا بالترجمات (ذكره مونان، 1955، ص 142). أخيرا، إن فضل الترجمة يكمن في إشاعة صيت الأعمال والآثار المنقولة: ففي حين كانت الساكنة الإرلندية أقل من 200000 نسمة، أمكن لأعمال الإسلندي لكسنس الذي منحت له جائزة نوبل في 1955، أن تجتذب جمهورا أوسع. كما أن العديد من الأعمال الدانماركية المترجمة إلى الروسية شهدت انتشارا عظيما. هذا وقد استأثرت الترجمة بحصة متزايدة في مجال النشر: من 4% في 1929 انتقلت إلى 12% في 1964 بالنسبة لمجموع البلدان الغربية وتمثل ثلاثة أرباع النشر في البلدان السكاندنافية.

2 ــ طبيعة الترجمة: على الرغم من أن العديد من المؤلفين والمترجمين قد تساءلوا حول طبيعة النشاط الترجمي، إلا أن الدراسة العميقة لمشاكل الترجمة لم تبدأ بالفعل إلا في حوالي 1950 مع الأمريكي أ. نايدا.E. Nida

إن الترجمة "حالة خاصة من التوارد convergence اللغوي (...) ووساطة ما بين اللغات" (لادميرال، 1979، ص11). إن هذا الفعل اللافت والمعقد جدا " هو تواصل من الدرجة الثانية الذي يعنى، من لغة إلى أخرى، بالتواصل ذي الدرجة الأولى الذي تعتمده موضوعا للدراسة والنظر، أي أن الترجمة تقدم على موضعة objectivation التواصل في اللغة ــ المصدر langue-source فتنظر إليه نظرة شمولية لتستخلص منه الرسالة التي يتعين

عليها ترجمتها إلـى اللغـة ـ الهـدف langue-cible. إن الميتاتواصـل la métacommunication الترجمي يجعل من التواصل ـ الموضوع في الدرجة الأولـى فـي صـلب اللغـة المـصدر معطـى سوسيولـسانيا un donné sociolinguistique" (المرجع نفسه، ص 144).

إن الترجمة، التي تسعى إلى أن تنسي القارئ النص الأصـلي بتعويـضه (إن كانت الترجمة جيدة، تصبح الترجمة عملا كاملا، وإن كانت رديئة، سيشعر القارئ بالحاجة إلى العودة إلى النص الأصلي حتى يكون على بينة من الأمر)، تطرح مشكلة هوية: إن الترجمة المزودة بهوية خاصة صقلها الفكر وإكراهـات اللغة ـ الهدف، يجب أن تكون مكافئة لهوية النص ـ المصدر المصقول مـن قبل فكر آخر وإكراهات أخرى تكافؤا صارما. وحسب حكمـة سـان جيـروم المشهورة: "إن المعنى هو الذي يجب ترجمته وكل المعنـى ولـيس الكلمـات". والحال إنه ـ وهذا دون العودة إلى غاية النظريات الهومبولدية الجديـدة التـي تنظر إلى اللغات بوصفها رؤى مختلفة للعالم، حيث إن لكـل لغـة عبقريتهـا الخاصةـ بات مؤكدا أن بعض العوالم عصيّ بعضها على البعض الآخر: فهل في مقدور الإسكيمو أن يدرك معنى الواحة أو الشاطئ أو معرض أزياء؟ رغـم وجود الكليات universaux (الهواء، الشمس، العطش إلـخ) المعروفـة لـدى الجميع والمدركة من قبلهم على نفس النحو، فإن أٍ.ريتـشارد (المختـص فـي الترجمة من الإنجليزية والصينية، اللغتين المتباينتين جدا) يرى بأنه لكي نوفـق في الترجمة، يجب ابتداع نظام ثالث للتفكير يكون وسـيطا مـا بـين الاثنـين الآخرين.

كما أن الترجمة حالة خاصة من احتكاك اللغـات. أوضـح فـانرايش أن الانتقال من لغة إلى أخـرى يحـدث فـي كثيـر مـن الأحيـان التـداخلات interférences، أي خلطا بين الأنظمة اللغوية للغـة ـ المـصدر واللغـة ـ

الهدف. وهذا يتجلى في المولدات أو النسخnéologismes et calques . مــن ذلك مثلا أن "un simple soldat يطابقها فــي الإنجليزيــة a private ، وأن الترجمة "a simple soldier المنسوخة على اللغة ــ المصدر خاطئة، ذلك أن " simple معناها "ساذج" idiot " (ذكره مونان، 1963). على خلاف الــسكان المزدوجي اللغة، الذين يخلطون أحيانا بين بعض البنى وعناصر اللغة (مــثلا : يقــول الكنــدي الفرنــسي j'irai magasiner بــدلا مــن j'irai faire des courses/des achat لأنه يتبع دون وعي منــه البنيــة الإنجليزيــة I'll go shopping) يجب على المترجمين أن يتحاشوا أي خلط واحترام معايير اللغــة ــ الهدف. غير أننا لا نتــرجم لغــة بــل كــلام parole (بمفهــوم سوســير) مؤلف، والمقصود بذلك أننا نترجم تعبيرا خاصا وشخصيا للغة مــشتركة بــين جماعة من الناس. إذن ينجز المترجم هكذا مهمة تكاد تكون مستحيلة لأنه يتعين عليه في الآن نفسه أن يحافظ ويعكس خصوصية الكــلام وأن يــضع مقــابلات لبعض العناصر اللغوية. يتعلق الأمر هاهنا بتمرين عسير لأن الكــلام تــصقله اللغة، التي هي بدورها مصقولة من قبل عوامل غير لغوية هي من مــشمولات علم الاجتماع وعلم النفس والإتنولوجية. فاللغة غير مفصولة عن السياق الثقافي الذي تضرب فيه بجذورها. لا بدّ من تجاوز إطار اللسانيات الضيق لوضع اللغة فيما يسمى ب "périlangue " (الذي يدعوها لادميرال" langue-culture) أي السياق العام للغة. إن المترجم، حتى وإن كان مبتدئا، يعرف أنه يتعذر ترجمــة جملة صغيرة إذا لم ينظر إليها في "سياقها" أي "مقامها". وعلى نحــو مفــارق، يجب على هذا المترجم، "الذي يزن الكلمات" كما يقول لاربو (لاربــو، الجــزء الثاني) أن يكون صاحب مخيال ثري دون أن يكون عبدا له. كما عليه أن يضع نفسه في موضع المؤلف لكي يحيط بالنص المراد ترجمته كما في موضع قرائه ذلك أن ما قد يبدو واضحا بالنسبة للمتــرجم المالــك للــنص الأصــلي لــيس

بالضرورة كذلك بالنسبة للقارئ في اللغة ــ الهــدف، المحــروم مــن الــنص الأصلي. إذن يجب على المترجم أن يتحاشى اللبس والنقــائص مــسبقا. وهــذا الانشغال يتجلى حين يتعلق الأمر بتلخيص النص مع ترجمته (تركيب): إن فكر المؤلف العميق، المبثوث والمختفي أحيانا بين السطور، المنــشطر إلــى عــدة أوجه، يجب إعادة بنائه وأحيانا يجب تضخيمه قليلا وجعله قابلا للإدراك فــورا أكثر مما هو عليه في النص الأصلي. بعبارة أخرى يجب الإبانة عن هذا الفكر.

في الفــصل الأول مــن الكتــاب الــذي خصــصه لادميــرال لطبيعــة الترجمة، خلص إلى ما يلي:

"إن مهنة المترجم تتمثل في اختيار أقل الأضرار: يجب عليه أن يميز بين ما هو أساسي عما هو ثانوي. إن "اختياراته الترجمية" يجب أن يقودها اختيار أساسي يتمثل في الغاية المنوطة بالترجمة، والجمهور المعنــي ومــستوى الثقافــة (...). فالترجمة قد تهدف إن قلــيلا أو كثيــرا إلــى "اللــون المحلــي" أو الغرائبيــة dépaysement (في الزمان والمكان) وأن نظارات المترجم يجــب أن تكــون تباعا "زجاجا ملونا" أو "زجاجا شفافا" (مونان، 1955، ص 109).

وهكذا فإن فنّ الترجمة يتمثل في معرفة متى وكيف يجب أن نترجم بحيث يمكننا نقل جوهر النص الأصلي نفسه. وحسب صيغة لادميرال، فإن الترجمــة "عبارة عن دائرة تأويلية". إن تلقي النص ــ المصدر هو:

"تأويل لا يتمّ بشكل كامل إلا في ومن خلال الإبانة عن الكتابة التي تنتج معنى ــ هدفا خاضعا للإكراهات contraintes المتعلقة بتسخير اللغــة ــ الهــدف (...). إن هذا المعنى المحصل عند نهاية الكتابة، يجب على المترجم أن يقــدّره وفــق متطلبات النص المصدر بفضل قراءات نقدية متكررة غايتها إجــادة الترجمــة". (لادميرال، 1979، ص 232).

هل الترجمة فنّ؟ كانت كذلك في بداية الأمر دون شك. ثمّ بعد ذلــك أدى

ابتكار الأدوات المختـصة ("الأرصـدة اللغويـة thesaurus فـي العـصور القديمة، والقوائم الإفرادية les glossaires في العصر الوسـيط، فـالقواميس المزدوجة أو المتعددة اللغات الأولى في القرنين الخامس عشر والسادس عـشر ومنها الكتاب المشهور اللاتيني ــ الفرنسي لــ .أ كـاليبينو، فالمعلوماتيـة فـي القرن العشرين) إلى تشجيع مقاربة علمية. فالترجمة هي في الوقت ذاته عمـل تقني وعمل كاتب، ومن ثمّ فهي عمليـة رياضـية لـصياغة رسـالة وفكهـا décodage et encodage فضلا عن عملية إعادة خلـق فنـي recréation artistique. وحتى في صلب المنظرين المحدثين، فإن دعاة الفنّ ــ أي القائلين بان الترجمة فنّ ــ (مثل سافوري) يواجهون دعاة العلم ــ أي القـائلين بـأن الترجمة علم (مثل نايدا) والقائلين بالعملية اللغوية الـصرفة ــ أي أن الترجمـة عملية لغوية (مثل فيدوروف) أو القائلين بالعملية المسماة بلفـظ غـامض هـو الأسلوبية (مثل فيني). ثمة إذن ثنائية بين العلم والفنّ حسب المنظرين. غيـر أن الذي يمارس الترجمة يعرف أنه يمكن التوفيق بين النزعتين. وهكـذا نجـد ج. ستاينر ينظر إلى الترجمة بوصفها " فنّا دقيقا".

إن هذا الانشطار بين النظرية والتطبيق، الذي هو جـزء مـن مفارقـة الترجمة، قائم في صلب الأسئلة التي يتطارحها المترجمون. في 1955، سـعى مونان إلى البحث عن الأجوبة في فقه اللغة philologie والإتنوغرافيـا. فـي 1979، بحث عنها لادميرال في السيميولوجيا. غير أنه صرح ابتداء، انطلاقـا من تجربته في الترجمة، قائلا: " إن اللسانيين، لما كـانوا يعـدمون الممارسـة الحقيقية للترجمة (وقليلون منهم من مارسها) ينتجون (...) خطابا نظريا غيـر مرض تماما بالنسبة للمترجمين لأنه غيـر مناسـب لممارسـتهم". (المرجـع نفسه، ص 18). لا ينبغي السقوط فـي النزعـة النظريـة اللغويـة المـشتطة théorisme linguistique (التي ينعتها ب " الإرهـاب" اللـساني (المرجـع

نفسه، ص 161)، بل تسخير المعارف اللسانية (وبخاصة معارف فروعها، مثل علم الدلالة والسيميولوجيا) لفتح نوافذ تضيء المترجم بدل أن تزجّ به في بـــرج بعض المنظرين اللسانيين العاجي. يجب التشبع ب "ذهنية عدم الاكتمال النظري esprit d'inachèvement théorique التـــي تـــروم الإصـــغاء للممارســـة" (المرجع نفسه، ص 211، 213).

هذا الانشطار بين المترجم واللساني النظري يتضاعف بتضاد مرتبط بهذا الانشطار: الثنائية الترجمة ــ بيداغوجيا الترجمة. تنقسم اللسانيات التطبيقية إلى فرعين (تعليم اللغات والترجمة) ويبدو أنها أولت العناية الكبرى للأولى ولـــيس للثانية. والحال إن التعليم الحديث للغات الذي يستدعي تقنيات ســـمعية بـــصرية و"الانغماس اللغوي" bain linguistique بله الانغماس التام، لم يعد يلتجئ إلى الترجمة، بل أصبح يتجاهلها أحيانا بشكل تامّ. إن اللسانيات التطبيقيـــة القائمـــة أساسا على مسعى مضاد تماما لمسعى الترجمة، تنوي أحيانـــا توســـيع تطبيـــق النظريات التي تنكر خصوصية الوظيفة الترجمية على هذه الأخيرة (الترجمة). ودائما في صلب هذه الثنائية، يلاحظ وجود مفارقة أخرى: لتدريس الترجمة، يتمّ اللجوء إلى الترجمة من اللغة الأم إلى لغة أجنبية والعكس thème et version ، وهي عبارة عن تمارين جزئية ومصطنعة تقوّم وفق مقاييس لا يمكن اعتبارها ترجمات حقيقية. ذلك أن صفحة الترجمة البيداغوجية، لمّا كانت مقتطفا معزولا جزئيا أو كليا عن السياق، فهي تحجب جزءا من حقل الاستكشاف، فالملفوظات énoncés لها تواتر ضعيف لا يسمح ببلورة مصطلحات بعينها. وفـــضلا عـــن هذا، وبينما ينزع المترجم المحترف إلى أن يترجم إلى لغته الأم، فإن التنـــاوب السريع بين الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية والعكس يجبـــر المتـــرجم المستقبلي إلى اكتساب كفاءة مزدوجة، بما أن مشاكل صياغة الرســـالة وفكّهـــا encodage et décodage تطرح بشكل مغاير. إن الترجمة من اللغة الأم إلى

اللغة الأجنبية، التي هي إعادة بناء تحليلـــي انطلاقـــا مـــن وحـــدات ترجميـــة صغرى، تتطلب نحو إنتاج une grammaire de production بينما الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم التي هي إعادة بناء تركيبي للجملة أو الفقـــرة، تتطلب نحو تلقّ une grammaire de réception. في الواقع، ليست الترجمة البيداغوجية سوى اختبار عملي يفترض أنه يشتغل بوصفه اختبارا للكفـــاءة. إن هذه الغاية الخارجية تختلف كثيرا عن الغاية الداخلية للترجمة: تمكين القارئ من عدم الاطلاع على النص ــ المصدر (لادميرال، 1979، ص 41، الفصل الثاني من هذا الكتاب مخصص لـــ "الترجمة والمؤسسة البيداغوجية").

إن الترجمة، بالنظر إلى طبيعتها، تختلف إذن عـــن العمليـــات اللـــسانية الأخرى اختلافا جمّا: فعلى عكس اللساني، لا يسخّر المتـــرجم إمكاناتـــه لفهـــم ملفوظ ما وابتداع ملفوظ آخر، بل يفهم أولا لكي يسخر امكاناته بوصفه مترجما ولكي يؤول ملفوظا موجودا سلفا. إن دراسة نظرية الترجمة ــ التي لا تزال في بداياتها ــ يجب أن تتجاوز النظريات اللسانية وتستدعي تخصصات أخرى مثل علم النفس (أنظر مثلا دراسات السيدة سليسكوفيتش حول الذاكرة في الترجمـــة) أو الفلسفة والتحليل النفسي (أنظر مثلا لادميرال الذي ترجم لفلاسفة ألمان). إن الترجمة التي توجد عند تخوم العديد من العلوم الإنسانية أو الدقيقة التي تجاهلتها مدة طويلة، مـــا عـــدا "اللـــسانيات التداوليـــة" linguistique pragmatique أو "علم النص" textologie حديثا، لا يمكن أن تقتصر على مقاربـــة واحـــدة. فإخفاق الترجمة الآلية القائمة على السبرنطيقا، لدليل واضح علـــى ذلـــك. ثمّـــة خلاصة أخرى مؤداها ــ وهذا ما انتهى إليه مرارا العديد من أساتذة الترجمة ــ أن إتقان العديد من اللغات لا يفضي بالضرورة إلى إتقان تقنيـــة الترجمـــة: إن بعض الطلبة، الذين يتكلمون بشكل سليم بكل لغة مـــن اللغـــات علـــى حـــدة ، يعجزون عن الانتقال المرضي من لغة إلى لغة أخرى.

3 ـ **أسطـورة استحالـة الترجمة:** حيال تكاثر الترجمات الرديئة، التي ينجزها لسانيون محترمون في كثير من الأحيان، وبالنظر لمفارقة النشاط الترجمي، يخلص بعض الناس إلى رأي هو: لا يجب أن نترجم. إننا هاهنا بإزاء جدال قديم جدا قاده أولا الأدباء وخاصة دي بيلي Du Bellay في 1549.

في كتابه الموسوم Les Belles Infidèles (1955)، فتح مونان هذا النقاش من جديد واستعاد الحجج الثلاث التي قدّمها الشاعر:

أ) الترجمات ذات نوعية رديئة في كثير من الأحيان، وأحيانا ينجزها شخص له معرفة غير مباشرة بالنص الأصلي.

ب) الترجمة كثيرا ما كانت عبارة عن منتوج تعويضي وامتداد اصطناعي لأدب أجنبي يسخّر كنموذج مثل اللاتينية أو اليونانية في أوربا، ولكنها تحول دون إنتاج اللغة الأم لأدب وطني طريف (ومن ثمّ عنوان كتاب دي بيلي : Défense et illustration de la langue française).

ت) "إن الوسائل الحقيقية كالأسلوب والبلاغة والشعر" تفلت عن الترجمة، لأنها غير قابلة للترجمة إلى حدّ ما (مونان، 1955، ص 15). إذن إن المترجم لا يقوى على الإبانة عن البعد الأساسي للغة الذي هو الشعر.

يعود لادميرال (1979، الفصل الثالث) إلى هذه الإشكالية أي إشكالية الاعتراض الأساس "problématique de l'objection préjudicielle" ويرى أن المشكل الهام الوحيد إنما هو المشكل الثالث. ويكمل التحليل بأن يلاحظ بأن الملفوظات énoncés العلمية يمكن ترجمتها بشكل جيّد ولكن الطلب عليها قوي جدا الأمر الذي جعل العديد من العلماء يحررون مقالاتهم أو مداخلاتهم بإحدى اللغات المستعملة بكثرة. وعلى نحو مفارق إذن، إن عدد النصوص العلمية نفسه الذي من شانه أن يترجم يدعو إلى تحاشي الترجمة، إن هذه النصوص أصبحت غير قابلة للترجمة. إننا نرى بأنها كذلك خاصة لأن الترجمات الرديئة جعلت

العلميّين يرتابون من المترجمين، الأمر الذي يحثّهم على الاستغناء عن خدماتهم. غير أن الترجمة الجيّدة أمر ممكن للغاية.

في الواقع، إن السجال النظري حول استعصاء الترجمة مردود إلى الثنائية القديمة: العلم (يمكن ترجمته) والشعر (غير قابل للترجمة)، المحتوى (المعلومة) والشكل (الجمالية). يتعلق الأمر هاهنا بكيفيتين للتعبير خاصتين، فالعلم يشمل كل معرفة دقيقة يسهل استكشافها والشعر هو من قبيل ما يتعذر الإفصاح عنه ineffable. إن المشكل المطروح على المترجم هو وجوب التمييز بين ما هو من قبيل اللغة (العلم. يجب الاهتداء إلى "سنن" مكافئ لسنن اللغة ــ المصدر) وما هو من قبيل الشعر (وحتى في هذه الحال، هناك سجال: بعض المنظّرين المحدثين لا يسعون إلى فرض الوفاء الموسيقي، الذي طالما دافع عنه فاليري مثلا). يخلص لادميرال إلى القول بأن مهمة المترجم هو استكشاف الوسائل المسخّرة (1979، ص 112). وعلى عكس ذلك، هناك أدباء ينتصرون للترجمة الحرفية littéralité . وهكذا نجد أن ج. دانوزيو يسعى إلى المحافظة على الطابع الأصلي للغة ــ المصدر ويحدّد الترجمة بوصفها "طريقة ذكية إن قليلا أو كثيرا لجعل القارئ في حالة من التنجيم divination "(ذكره فرمولان). في 1958، صرّح نابوكوف بأن الترجمة التي لا يشتمّ منها الترجمة ستكون بالضرورة غير دقيقة عندما ننظر فيها بإمعان"، الأمر الذي يجعله يخلص إلى أن مثله idéal هو "الترجمة الحرفية". يرى بأن الترجمة يجب أن تكون دقيقة جدا: لا يجب أن تكون عبارة عن إعادة صياغة paraphrase ويجب أن تجعل الدقّة فوق حتى الإلقاء والإيقاع والنحو. لا يجب السعي لجعل النص الهدف أكثر مقروئية وأكثر متعة بالنسبة للقارئ. نعود هاهنا للمعضلة الأساس: هل الترجمة نشاط فني artistique أم هي نشاط علمي؟ يبدو أن نابوكوف ــ من خلال النصوص التي سعى فيها إلى التنظيرــ ينتصر لترجمة

ذات غاية تعليمية أو علمية traduction d'érudition ذلــك أن الحــلّ الــذي يعرضه لمشكل ضياع الإلقاء والإيقاع المترتب عن انشغاله بالحرفية هو الإكثار من ملاحظات الترجمة notes de traduction. غيــر أن نــابوكوف، عنــد ممارسته الترجمة، لا يعتمد مبادئه هذه: فهو يلجأ إلى التحسين أو إعادة الصياغة كثيرا عندما يترجم أعماله إلى الإنجليزية أو الفرنسية كما أن ترجماته للمــؤلفين الآخرين ليــست بأعمــال علميــة (أنظــر دراســة ج. قريــسن Nabokov (Translated, 1972). ولئن كان أورتيقا إي قاسي Ortéga y Gasset يرى بأن الترجمة مستحيلة ((Miseria y esplendor de la traduccion)، فــإن نابوكوف يذهب بعيدا ويعتقد أن الترجمة هي بمثابة "تدنيس الأموات". وكان دي بيلي قد شدّد بعد على أن الصورة والمعنى متمايزان وقــارن حــال المتــرجم بالرسّام الذي يمثّل غلافا جسميا ولكنه يعجز عن إظهار الروح. أما ردّنا علـــى هذه الحجة فهو أن الرسام الجيد قادر على أن يجعل المــشاهد يلمــس الــروح. لا ينبغي للرداءة أن تحكم على التقنية حكما مبرما. كان سان جيروم يرى بــأن اللغة لا يمكن أن تكون مرآة وفية للغة أخرى ليست لها نفس البنية. إن مــشكل الحرفية littéralité، الغالي على جيد Gide، هم إذن قديم قدم العــالم. ومــن المحتمل أن يضرب بجذوره في المحظور الديني. ذلك أن النــصوص الأكثــر ترجمة في أغلب الأحيان، والأكثر أهمية قديما، هي الكتب المقدسة ومن المؤكد أن كلام الربّ، الذي يعدّ كاملا وتاما، لا يمكن ترجمته بكيفية مرضية تماما.

بيد أن الأدباء ليسوا الوحيدين الذين يثيرون مسألة استعــصاء الترجمــة. فبعض اللسانيين (مثل بلومفيلد) يرون بأن التواصل الحقيقي لمّا كان مــستحيلا فإن الترجمة هي أيضا مستحيلة. لقد أنكرت المدرسة السوسيرية (نسبة إلى دي سوسيرde Saussure) إمكانية الترجمة باسم القيمة علما بأنها فــي الآن نفــسه تقول بالتوارد convergence بين اللغات بواسطة المقولات universaux التي

تمثل التجربة المشتركة بين البشر. إن علم الدلالة ـ العلم الأكثر خصوبة فيما يتعلق بالترجمةـ ظل ردحا طويلا من الزمن عرضة للجدل وعدّ غير علمي من قبل بعض اللسانيين. قام ج. مونان، في رسالة الدكتوراه، بجرد الاعتراضات التي طرحتها اللسانيات التي قضت باستحالة الترجمة. من بين العقبات اللغوية التي تقف في وجه التواصل، يذكر بخاصة:

أ) رؤية العالم المختلفة (مثلا، الكلب في نظر الإسكيمو حيوان مفيد، وهو مقدس عند الفارسي، ومكروه لدى العربي. أما بالنسبة للأوربي فهو الرفيق الوفي).

ب) منطق تركيبي خاص (فالفرنسية مثلا تنظر إلى الانتقال في الفضاء: traverser le fleuve à la nage في حين أن الإنجليزية تنظر في الكيفية التي يتمّ بها الانتقال:to swim across the river).

ت) فيما يتعلق بالمفردات، فإن الحقل الدلالي يتغير كثيرا من لغة إلى أخرى (فهكذا نجد في الإسبانية في الأرجنتين 200 كلمة لوصف شعر الحصان مقابل 12 في الفرنسية، ومن ثمّ فإن كل ترجمة ينجرّ عنها فقدان ما perte ou entropie).

ث) دائما في مجال المفردات، فإن هذه الأخيرة ليست دائما منتظمة، لأن بناءها أو بنينتها structuration مشروطة بوجود عناصر غير لغوية (فالعمارات مثلا تصنف أحيانا وفق وظائفها : loge, château وأحيانا أخرى وفق حالتها: masure, palais وتارة أخرى وفق معيار جغرافي: sba, igloo ...).

لقد ألقت أعمال ل. بريتو Prieto بعض الضوء على هذه المشكلة. وفضلا عن هذا، إن نظرية الإيحاءات connotations، حتى وإن بدت مريبة في نظر بعض اللسانيين، فهي ذات فائدة بالنسبة للمترجمين. ذلك أن الملفوظات تنطوي على قيمة عاطفية (يسميها البعض "جوا" "atmosphère"). من ذلك مثلا أن

الصفة الإنجليزية plump حسب السياق قد تترجم إلى الفرنسية بـــ:

- potelé (gentil, enfantin);
- dodu (qui se mangerait);
- replet (ton mi-amusé, mi-affectueux);
- rondelet ; charnu ; rondouillard ; grassouillet; rebondi.

إن السياق يشير إلى قصد المؤلف، والاستعمال يشير إلى الكلمة التي ينبغي اختيارها في هذه القائمة: فالوجنتان لا يمكنهما إلا أن تكونا " rebondies " (مكتنزتان) والمبلغ المالي لا يمكنه إلا أن يكون "rondelette" (معتبرا). فمعرفة تاريخ وحضارة الشعوب الممارسة للغة الأجنبية تنوّر المترجم. وهكذا فإن كل مترجم محنك يعرف بأن أية فاكهة عادية (في البلدان الأوربية) مثل التفاح يمكن أن تحتوي على رمز: بالنسبة للكندي ترتبط بالدخول المدرسي، وبالنسبة للفرنسي تثير معنى جنسيا : croquer la pomme, Eve . أما الإنجليزي فيرى فيها غذاء صحيا وطازجا. في حين أن الألماني سيتذكر قبل كل شيء قصة غيوم تيل Guillaume Tell.

إن ممارسة الترجمة تبيّن بأن أسطورة استعصاء الترجمة مشكل مزيّف. يرى ج. مونان بأننا حين نفحص نصوص الإتنولوجيا (التي تصف ثقافات مختلفة جدا، الأمر الذي يفترض وجود مصطلحات غاية في التباين)، ونقصي الاقتراضات emprunts والاستشهادات citations الأدبية المتحذلقة، يبقى لدينا قرابة 0,5 % من الكلمات العصية على الترجمة، جلّها مشروح في النص أو في الهوامش (أنظر كتابه Linguistique et traduction 1976). وترى السيدة سليسكوفيتش، الترجمانة والأستاذة، بأن اللسانيين، بنظرتهم إلى اللغات بوصفها أنظمة ليس إلا، ينسون الإبانة عن الكيفيات العملية للترجمة البشرية. فهي ترفض وصف أوضاع اللغة états de

langue [10] والنظر إلى الترجمة كتغيير بسيط للمدلولات، ومن ثمّ فهي تفضل النظر إلى نشاط الترجمة باعتباره صياغة أفكار في أفعال كلامية. فبدلا من عملية تحويل، يجري الترجمان عملية ذات ثلاث مراحل: فهم الملفوظ ــ المصدر وفحص الفكرة باستخراجها من صورتها وبنيتها اللغويتين فإعادة صياغة الفكرة بواسطة سنن آخر (أنظر مقالتها في Exégèse et traduction في مجلة (Etudes de linguistique Appliquée, 1976).

4 ــ مثل الترجمة Les idéaux de la traduction: إن الترجمة التي تعتمد لإشاعة الفهم نشاط قائم على خدمة الغير. وهذا ما جعل ف. لاربو يصف المترجم بالقدّيس الذي يحدوه نكران الذات والحكمة. مع أن المترجمين الأدبيين ظلوا طويلا يحلمون بترك أعمال خالدة، وهو أمر مستحيل. ذلك أن أذواق الجمهور ووسائل تعبيرهم تتغير وتصاب الأعمال بالشيخوخة. فرغم العمل الجبّار الذي قام به فرانسوا فيكتور هيجو في القرن التاسع عشر، فإنه يجب إعادة ترجمة شكسبير وهناك طبعة جديدة تصدر كل خمسين سنة تقريبا. لقد عالج ميشونيك Meschonnic شيخوخة الترجمة (1973، ص 321ــ323) مبيّنا بأن للترجمة بعدا تاريخيا. إن الترجمة الجارية traduction courante (التي تسمى الترجمةــ المقدمة، والترجمة ــ الترجمة) تحدّد بالحقبة التاريخية التي هي مجموع الأفكار الرائجة. فلمّا كانت الترجمة إنتاجا مطاوعا لإيديولوجية ما، فإنها لا تقبل (لا تقبل القراءة ("elle n'est plus "lisible) متى تغيرت هذه الإيديولوجية. ف" دون كيخوته" الذي ترجمه فلورين قد طواه النسيان، كما هو الحال بالنسبة لكتاب الجحيم L'Enfer لدانتي الذي ترجمه ريفارول. إن ترجمة مسرحيات شكسبير التي قام بها فولتير أصبحت طرائف

10- أي حالة اللغة في زمان معين من حيث بناها الداخلية واستعمالاتها. (المترجم)

تاريخية كما هو الشأن بالنسبة لترجمة ف.ف. هيجو. هذا وسـتعرف ترجمـة ج.ل. كورتيس الحديثة جدا المصير نفسه.

على المترجم أن يمّحي أمام النص الذي يتـرجم. عليـه إذن أن يتحاشـى مطبّ الترجمة الانطباعية والتقنية التي بمقتضاها يشوّه فكر المؤلف ويفرض عليه رؤيته الخاصة. يرى مونان أن المترجم يجب أن يكون عبارة عن نظارة حيادية. كما يجب عليه أن يتحاشى مطبّ الترجمة التعليمية الجامدة التي تبعد الترجمة عن غايتها لأنها آنذاك تعتبر نفسها غاية في ذاتها أي عملا جماليا صرفا حسب نظرية بنيدتو كروتشي الجمالية المشتطة، وإما لأنها تصبح وسـيلة بيداغوجيـة للتعلـيم اللغوي. والحال إن اللغة يجب أن تكتسب برمتها قبل مباشرة الترجمة، حتـى وإن كنّا نذهب مذهب أندري جيد القائل بأن أهم لغة هي اللغـة الأولـى أو الأسـاس. وبخاصة، يتعين على المترجم تبني الاختيـارات التـي انتـصر إليهـا المـتكلم ــ المصدر locuteur – source. يجب إذن الإحاطة بدقة بطبيعة الملفوظ بطرح الأسئلة التالية: من يتكلم؟ (المهنة، الآراء السياسية، الجنس ــ ما هو غير بـديهي دائما في الإنجليزية بالنسبة لكلمات مثل "lecturer" "doctor")، واللغة المستعملة (هل يتعلق الأمر بألمانية منطقة بافيارBavière أم بروسيا Prusse أم سويسرا الألمانية Suisse alémanique أم النمساء؟، والفترة)، كيف يتكلم؟ (الأسلوب، المفردات، النبر، المستوى اللغوي)، ما هي وظيفة النص؟ (المعلومة، الوصف، التفكير)، ما هو الجمهور المعني بالنص؟ (هل يتعلق الأمـر مـثلا بمحاضـرة بأكاديمية العلوم أم بمقال عام موجّه لعامة الناس أم بشرح موجّه لأطفال؟).

إن المترجم يأمل في إنجاز عمل ذي نوعية. قديما كان معيار النوعية هو الجمال ولكنه جمال صوري شكلي مفصول عن النص. وهذا مـا أدى ببيـرو دابلانكور إلى كتابة مؤلفه " الجميلات الخائنة" Les Belles infidèles الـذي جلب له الشهرة. بالنسبة لبول فاليري، فإن اعتماد المتـرجم علـى الأسـلوب

الجامعي الممزوج بالمحسنات البديعية هو عبارة عن " دفـن " mise en bière للنص. أما مثل الجمال الحديث l'idéal de beauté في مجال الترجمـة فهـو بالأحرى متواضع: إنه وحدة النبرة. فالترجمة القابلة للقراءة جدا هي الترجمـة التي تنطوي على تناسق داخلي والتي يمكن للقارئ أن يقرأها دون تعثر. إن هذا الأمر يطرح مشاكل نظرية. سبق لنا أن رأينا أن هناك مترجمين ــ منظرين من أمثال دانونزيو ونابوكوف، يرون بأن الترجمة يجب أن تفـوح منهـا رائحـة الترجمة. يمكننا أن نخالفهم الرأي لاسيما في مجال الترجمة التقنية. بيد أن هناك مشكلا يظل قائما برمته: هل ينبغي محو جميع الغرابات الثقافيـة étrangetés culturelles التي ينطوي عليها الـنص ــ المـصدر لتجريـده مـن جميـع الخصوصيات بحيث يصبح قريبا من الحال الثقافية لبلاد اللغـة ــ الهـدف؟ أم على العكس، يجب تغريب القـارئ dépayser le lecteur بالمحافظـة علـى الغرابات الثقافية، التي تصبح حينئذ غرائبية exotisme وهذا للتذكير بأن النص الأصلي ينتمي إلى ثقافة أخرى بعيدة في الزمان أو المكان؟ يبدو لنا أن الأمـر موقوف على الجمهور المعني. وهكذا فإن روايات أقاتا كريستي كان بالإمكـان ترجمتها في السابق بطريقة توهم القارئ بأن الحدث يجري في قريتـه. فمـيس ماربل لها مظهر الفتاة العانس النموذجية. غير أن شخص القسّ وطقس الـشاي مثلا كانا يميزّان جيدا هذه الروايات في إنجلترا بحيث أصبح جلّ المتـرجمين يشددون على هذه الخصيصة. في زماننا هذا، اتسم المجتمع والسلوكات البائـدة التي كان الروائي يصفها بمظهر بال جدا ممّا جعل التشديد على هذه الغرائبيـة أمرا ضروريا. لكن، كيف يجب يا ترى ترجمة أقوال المفتش هرقل بوارو؟ في حالته هناك غرائبية مزدوجة (هو بلجيكي انتقل إلى إنجلتـرا، فثمـة سـلوكات غريبة عن سلوكات الإنجليز) وترجمة مزدوجة (فـي حالـة التـأثر، يتحـدث بإنجليزية ممزوجة بالفرنسية ــ الأمر الذي يطرح مشكلا عصيا على المترجمين

الفرنسيين لأقاتا كريستي، اللهم إلا إذا انتصروا إلى الصورة البلجيكية للفرنسية. في الواقع، إن هذا الحلّ الأخير هو نفسه مستحيل، ذلك أن الإنجليز أنفسهم يجهلون جنسية المفتش الحقيقية ويعدّونه دائما فرنسيا).

كما أن معيار النوعية هو الوفاء. والمقصود بالوفاء ليس هو احترام الإكراهات contraintes. بل يتعلق الأمر بـ "الترجمة الوفية" في مقابل "الترجمة الحرة". يرى أ. كاري بأن الوفاء معناه "نقل العلاقة الدقيقة بين الشكل والمحتوى". بعبارة أخرى، يمكن إعادة صياغة المشكل القائم في صلب كل تحليل للترجمة كما يلي: التوازن بين احترام شكل النص الأصلي ومعناه. يبيّن تاريخ الترجمة من بييروا دابلانكور إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر بأن المترجمين لم يحترموا دائما النص الأصلي بالقدر الكافي. وعلى أيامنا هذه، يبدو أن مترجمي الأدب يشاطرون ما ذهب إليه مونان: لكي تكون الترجمات مثالية ، كما النساء، يجب أن تكون وفية وجميلة. لا بدّ إذن من الإبحار بين مطبات الحرفية littéralité والتحريف travestissement. لكن، يا ترى، الوفاء لأيّ شيء؟ لئن كان من غير اللائق الزعم باحترام الصيغة اللغوية احتراما أعمى (من ذلك مثلا أن الصيغة الاستفهامية المنفية للقالب الإنجليزي isn't it a small world? يقابلها في اللسان الفرنسي صيغة التعجب que le monde est petit!). بالإضافة إلى هذا التنكير أصبح معرفة)، ومع ذلك لا بدّ من احترام الصيغة التي تبناها المؤلف (سنرى لاحقا ما هي التقنية الواجب اعتمادها وما هي المفاتيح التي ينبغي تسخيرها في عملية الترجمة). إذا تعلق الأمر بقصيدة شعرية لابدّ من الاهتداء للصيغة الشعرية المكافئة. إن المرافعة تسدعي البلاغة، خاصة الوفاء لمعنى النص. والحال إن هذا المعنى أحيانا يسري في ثنايا النص، ذلك أن المؤلف يبدو وكأنه يريد الإفصاح عن شيء في حين أنه يوحي بشيء آخر. في هذه الحالة أيضا، لا بدّ من الإيضاح ولكن ببراعة.

أما فيما يتعلق بالعمل المسرحي، فإن الوفاء يطرح مشكلا خاصا. وكما بيّن ذلك مريمي Mérimée لا بجب ترجمة النص المكتوب بل المسرحية المؤداة على الخشبة، أي جانبا من حياته ـــ حياة النص ـــ لقد انتقدت ترجمته لمسرحية قوقول المسماة Le Revisor، حيث سجلت عليها 200 خطأ من بينها 100 خطأ من حيث إيراد معان مخالفة للمقصود contresens. غير أن هذه الطبعة شهدت نجاحا كبيرا لأنها استطاعت الإبانة عن نكهة وجوّ الهجاء الساخر في اللغة الروسية.

إن بعض الأخطاء المنسوبة لمريمي ليست في الواقع أخطاء (وهذا ما يسميه ـــ كما سنرى ذلك فيما بعد ـــ لادميرال بـــ " المعاني المخالفة الدنيا" contresens minimaux): وهكذا كان على حقّ حينما سمّى الشخص المتسخ ـــ "حدّاد في الروسية" ـــ ب "ramoneur" لأن هذا يوحي بفكرة الوسخ في الفرنسية. وعلى عكس ذلك، إن ترجمة جيد Gide لشكسبير، وإن كانت ممتازة من حيث البعد اللغوي، فإنها لا ترقى إلى ذلك. أما فيما يتعلق بالمسرح، فإن الترجمة يمكن مقارنتها بالمساحيق (ماكياج) المستعملة على الخشبة: فحين ننظر إليها عن قرب تبدو لنا سمجة ولكن إن كنا بعيدين عنها، فإن المنظر العام يبدو لنا منسجما يحكمه نظام داخلي يشدّ بعضه بعضا. لا بدّ من الإحاطة بالنص ـــ الهدف آنيا، بما أنه يصعب بل يستحيل على المتفرج العودة إلى الخلف لإعادة قراءة جزء من الحوار... من باب التذكير القول بأن الأسماء ذات الدلالة يجب ترجمتها. من ذلك مثلا في مسرحية شكسبير Mesure pour mesure، أصبح اسم "Elbow" : "Lecoude"...

في المحصلة، إن مثل idéal الترجمة هو خدمة التواصل. وهذا الأمر هو من البداهة بحيث لا داعي إلى العودة إليه. غير أنه لا بدّ من الإشارة إلى أن الترجمة السيئة تسيء إلى التواصل ليس فقط بين الشعوب بل في صلب

المجموعة اللغوية نفسها. ذلك أن تحريفات اللغة ــ الهدف التي تفرضها السنين العديدة من الترجمة السيئة (سواء تمّ ذلك عن وعي أو غير وعي) تفضي إلـــى سوء الفهم. من ذلك مثلا عندما يصرخ كندي فرنسي je vais chauffer ma belle-mère فإن مخاطبه الفرنسي قد يذهب به الظن إلى أن صهره ســيعاقب هذه السيدة عقابا ما في حين أن هذا الرجل إنما يقترح بالأحرى "إيصال" حماته إلى حيث تريد. فهو يقوم بعملية نسخ الإنجليزية التي تحبــذ اســتعمال الاســم (chauffeur : الذي هو اقتراض) لتفرّع منه الفعل. يتعلق الأمر إذن بترجمـــة ضمنية كما هو الحال في "parler à travers son chapeau المنسوخة علـــى to talk through one's hat: الــتلفظ بترهـــات. منـــذ حـــوالي 1945 تقريبا، لاحظ روّاد المؤتمرات الدولية حيث تطغى الإنجليزية والفرنسية من بين لغات العمل بأن لغة تنحدر من هاتين اللغتين أخذت في التبلور: إنجليزية اللغـــة السياسية الدولية تقترب من الفرنسية (من ذلـــك مـــثلا to start أصـــبحت to commence) والعكس بالعكس. ومنذ زمن قريب جدا، أمكن لمشاهدي التلفـــزة التفرج على العديد من الأفلام الأمريكية التي لم تدبلج كما ينبغـــي أو الاســـتماع إلى أغان مقتبسة بشكل غير جيد من أغان أمريكية رائجة. من ذلك ما شوهد في فيلم بوليسي: في لقطة من اللقطات، أصيب أحد الشخوص بعجز تام. في لقطـــة أخرى، يصف شخص آخـــر هـــذا الـــشخص بقولـــه: ce n'est plus qu'un légume (he is but a vegetable)، علما بأن هذه الكلمات لا تطـــابق قـــط المقام، وكان الأصح أن يقال il n'a plus qu'une vie végétative (إن حياته تبه حياة النباتات) . إن هذه الدبلجات السيئة مشينة لأنها تفضي إلى قبول لغـــة عفوية خالية من المعنى. يشبّه إتيانبل Etiemble فـــي كتابـــه Parlez-vous franglais (1964) نتائج هذه التداخلات بـــ "الكلام غير المفهوم" ويحلل بحميّة لا تخلو من الثأر القوانين المزعومة لهذه اللغـــة (التـــي حلّـــت محلهـــا اليـــوم

"الغالو ــ ريكية" gallo-ricain : نتيجة التأثر بالإنجليزية (ولنضف الترجمــات السيئة) نجد كتابات من قبيل: M.Dupont، كما نعثر على إفراط في اســتعمال نعت النسبة : l'ambassadeur américain، وكذا علــى ظــاهرة الرصــف juxtaposition مثــــل : idée-Elle أو علـــــى الــــسوابق مثــــل: après-guillaumisme. وللردّ على هذا الأمر، هناك لجنة تدرس منذ اثنتــي عشر سنة القائمة nomenclature وقد نشرت الجريدة الرسمية قوائم لمفردات ثلاثة أرباعها إنجليزية مع ترجمتها الرسمية: من ذلك مثلا: engineering التي أصبحت ingénieurie. هذا ويسعى قانون با لوريــول Bas-Lauriol (الــذي دخل حيز التطبيق منذ الفاتح جانفي 1977) إلى حماية المستهلك الفرنسي مــن خلال منع وصفات الاستعمال المدونة باللغة الأجنبية. وهذا القانون قد اضــطر بعض الشركات إلى اللجوء إلى المترجمين. من جهة أخــرى، وحيــال زحــف الكلمات الإنجليزية، الذي هو في جلّ الأحيان أمارة عن عجز المترجمين، الذين هم دائما في عجلة من أمرهم أو الذين لا يتلقون النصح الجيد أو الذين يتــأثرون بالموضة والتشدق، اعترى الخوف بعض المسؤولين فحاولوا الحدّ من هذا السيل الجارف. يوجد حاليا بفرنسا قرابة عشر هيئات تحصي الكلمات المولّدة أملا في تقييس normalisation المصطلحات[11]: إن الوزارات الكبرى توفر على لجانها الخاصة. لنذكر أيضا الجمعية الفرنسية للتقييس Association Française de Normalisation واللجنة الاستــشارية للغــة العلميــة والجمعيــة الفرنــسية للمصطلحات ولجنة دراسة المــصطلحات التقنيــة الفرنــسية ولجنــة دراســة المصطلحات الطبية ولجنة الدفاع عن اللغة الفرنسية والمجلــس الــدولي للغــة الفرنسية. أنظر سلسلة من المقالات في جريــدة Le Monde عنوانهــا : Qui

11- المقصود بالتقييس في اللسانيات هو فرض استعمال موحّد للمصطلحات.

parlera français en l'an 2000? في الفترة بين 5ـــ7 ديسمبر 1979. أنظر في هذا السياق دائما وقائع chronique جاك سيلار في نفس الجريدة.

من الثابت أن ردّة الفعل الدفاعية هذه سليمة. فكلما شعرت لغة ما بالتهديد جرّاء التأثير المتصاعد والزاحف للغة أخرى أو لغات أخرى، فإنه يجب عليهـــا أن تحمي تراثها. وهذا ما حصل في بداية القرن العشرين في بعـــض البلـــدان العربية (أعمال المجمع العلمي بدمشق المنشأ في 1919 وأعمال مجمع القـــاهرة المنشأ في 1932). في الجزائر، من المتوقع أن ينكب مجمع هـــواري بومـــدين على الترجمة من خلال دراسة المصطلحات. في الوقت الراهن، هنـــاك حاجـــة ماسّة للتقييس. مثلا، نجد أن الرزنامات العربية المنشورة في الجزائر تـــستعمل كلمة مصدرها الإنجليزية تارة مثل يناير، وتارة أخرى تعتمد كلمـــة مـــصدرها الفرنسية مثل جانفي. أما مركز الترجمة والمصطلحات العربيـــة، المنـــشأ فـــي الجزائر (المرسوم 17 أفريل 1980 الصادر في الجريدة الرسمية بتـــاريخ 27 ماي 1980) سيعنى بمهمة الإحصاء الكأداء والتنسيق والترجمة مع السعي إلـــى جعل بعض الأساتذة ينتقلون إلى التدريس بالعربية.

غير أن هذا الجهد المحمود لا يؤتي أكلـــه دائمـــا. فعلـــى الـــرغم مـــن المصطلحية الرسمية الفرنسية تحاول فرض bouteur فـــإن الجميـــع يـــستعمل bulldozer. كما أن الكنديين الفرنسيين المعرضين كثيرا للعدوى مـــن حيـــث قربهم من الولايات المتحدة فهم أكثر تأثرا بمخـــاطر المثاقفـــة acculturation ويبذلون جهودا إضافية من أجل الفرنسة francisation. وهكذا بينما يمتطـــي الناطقون بالفرنسية في العالم الذين يرغبون فـــي الـــسفر بـــأبخس الأثمـــان : charter، فإن الكيبيكيين يمتطون un avion nolisé. إن نوائب كلمة footing في فرنسية فرنسا غريبة جدا. فهذا اللفظ الإنجليزي المظهر ــ ولكنه لم يعد لـــه وجود في الإنجليزية ــ اعتمد في 1895 من قبل محبي وهواة الثقافة الإنجليزية

anglomanieالذين كانوا يمارسون رياضة المــشي لغــرض صــحي. ولمــا تسارعت وتيرة الحياة العصرية، أصبحت كلمة footing تعني الجــري بــشكل بطيء إلى أن شهدت هذه الرياضة الحضرية (تحت اسم jogging في الولايات المتحدة منذ عدة سنوات) إقبالا جما في فرنسا. ولكي يظهر متعاطيها بمظهر من يعيش عصره، أخذت الصحف المشجعة لهذه الرياضــة تطلــق عليهــا اللفــظ الأنجليزي الصاكسوني وهكذا نسمع كثيرا ســيدات تقلــن بــأنهن joguent أو jogguent أو كذلك djogguent دائما، ومن البديهي أن هذه الكلمة أقل كلفــة من courent à petites foulées. إن قصر العبارات الإنجليزية ســمح للغــة الإنجليزية الصاكسونية ببسط نفوذهــا فــي كــل مكــان. غيــر أن الــصفوية purismeالمبالغ فيها قد تضرّ أيما إضرار. فلم التكالب من أجل منع اســتعمال week-end وفرض fin de semaine ؟ فاللفظان ليسا متكافئين، كمــا تــشهد على ذلك الجملة التالية: j'ai eu une fin de semaine épuisante, et j'ai besoin d'un bon week-end (عشت نهاية أسبوع متعبة وأنا بحاجة إلــى un bon week end).

5 ــ مفاتيح من أجل الترجمــة: إن مــصنفات الأســلوبيات المقارنــة (Malblanc بالنسبة للألمانيــة والفرنــسية وVinay et Darbelnet بالنــسبة للإنجليزية والفرنسية) تقترح حلاّ للعديــد مــن المــشاكل وتبــين أن الأشــياء المستعصية حقا عن الترجمة قليلة.

ويمكننا القول بناء على ما خلصت إليه هــذه المــصنفات وكــذا علــى تجربتنا :

أ) إذا تعلق الأمر بشيء غريب تماما على ثقافة الناس الذين يعتمدون اللغة الأخرى، يمكن للمترجم أن يستعمل جملة تفسيرية (لنقل كلمة frigidaire إلــى الإسكيمو مثلا، قد نضطر إلى القول: جهاز ينتج البرودة للحفاظ علــى المــواد

الغذائية). يمكن للمترجم الاحتفاظ بالكلمة الأصلية لاسيما إذا أراد الاحتفاظ بمسحة غرائبية exotisme (وهكذا دخلت كلمات مثل kimono و panzer و mocassin و corrida إلى اللغة الفرنسية). كما يمكنه اللجوء إلى التكييف: فالأمريكي عندما يحتفل بميلاد أحد أبنائه تقضي العادة بأن يهدي سجائر cigares لأصدقائه. أما في فرنسا، فالفرنسي cela arrose (= العادة تقضي بأن يهدي مشروبات روحية). أخيرا، يمكنه أن يدوّن ملاحظة في الهامش. بيد أن هذه الطريقة هي بمثابة الحل السهل وتسيء إلى مقروئية النص. فدومنيك أوري لا يتردد في نعتها بـ " عار المترجم" (أنظر مقدمة جورج مونان، 1963). في كثير من الحالات، يستحسن إدراج الهامش هذا في صلب النص. مثلا، لئن كان بطل رواية إنجليزية يتسوّق في Fortnum and Mason's وهو محل متخصص مشهور في لندن، فإنه من غير المجدي الاحتفاظ بالاسم الإنجليزي في الفرنسية وإضافة ملاحظة في أسفل الصفحة تحرر كالتالي: يتعلق الأمر بمحلّ تجاري راق ومشهور بلندن متخصص في البقالة épicerie الرفيعة. وبدل ذلك يمكن اختصار الأمر في : بقالة رفيعة وراقية. وإذا كان النص الأصلي غير موسوم بالطابع الإنجليزي، يمكننا آنذاك تكييف الأمر وكتابة ما يلي: Fauchon أو Hédiard اللذين لهما نفس الزبائن. وإذا كان النص الأصلي ــ مثل النص الفلسفي ــ يستدعي عددا هائلا من الهوامش، فإن الحلّ يكمن في تجميعها أو التمهيد لها بتفسير أولي (في التمهيد).

ب) إذا تعلق الأمر بفارق دقيق nuance إضافي موجود في كلمة واحدة (الاشتراك الدلالي) في حين أن اللغة الهدف تفجر هذه الوحدة الترجمية إلى عدة كلمات، فثمة حلان كلاسيكيان: الرصف juxtaposition أو التعويض compensation. وهذا حال كلمات إنجليزية من قبيل: dank: رطب + بارد.

ت) إذا تعلق الأمر بفكرة شخصية تماما للمؤلف، والتـي تبتعـد عـن المعايير، فإنه ينبغي احترام هذا العدول أو الابتعاد في اللغة الهدف، حتـى وإن بدا اللفظ المختار غير منطقي للوهلة الأولى.

هناك العديد من المشاكل الخاصة التي تحلّ تباعا، فالأمر الأساس يتمثـل في الإحاطة بالصعوبة واستكشاف الطريقة المـستعملة فـي اللغـة المـصدر وتعويضها بطريقة مكافئة في اللغة الهـدف. إن وحـدات القيـاس والأغـاني وعناوين الصحف (اللغة الإنجليزية تريدها قصيرة جدا وتحبذ تكرار الحـروف الأوائل) التي تحيل على حدث بعينه والاستشهادات (العادة تقضي بأنه إذا كـان النص المستشهد به قد ترجم سلفا، أن تحتـرم هـذه الترجمـة)، والملفوظـات الإشهارية (مثلا في شهر ماي 1980، كانت هناك رسالة إشهارية فرنسية تمتدح سيارات تسير مثل " القنبلة" comme une bombe وهي عبارة منسوخة بشكل سيء عن الإنجليزية والتي تعني " تسير بشكل جيد وسريع". غيـر أن المعنـى الجاري في الفرنسية لكلمة bombe هو جهاز قابل للانفجار" وهذا من شأنه ألا يطمئن الزبائن المحتملين. فلم يا ترى لا تستعمل كلمات مكافئة مثل "صـاروخ" fusée لاسيما وأن لهذه الكلمة صيتا كبيرا لارتباطها بغـزو الفـضاء...؟ إن العقود والنصوص القانونية تطرح مشاكل أعقد لا يقـوى عليهـا إلا المتـرجم المتخصص، ذلك أن النظام القانوني قد يختلف بشكل بّين من بلـد إلـى آخـر. فالأسماء والأسماء المستعارة يجب أن يعثر لها عن مقابلات: الكلمة الإنجليزيـة buster تطابق brise-fer و muscles لـ gros-bras ولكن scarface (le balafré) وPopeye (صاحب العينين الجاحظتين) قد دخلت الفرنسية كما هي. أخيرا، إن ترجمة الأفلام ودبلجتها تطرحان مشاكل كلاسيكية. (هناك مثال ممتاز للاقتباس في فيلم High society : لإبهار الصحافيين، تعتمـد قـراس كيلـي الفرنسية وهي لغة جميع الأمريكيين الراقين والمثقفين في تلكم الفترة، بينما فـي

النسخة الفرنسية للفيلم نستمع إلها تتحدث بالإنجليزية، وهذه اللغة هي لغة الفرنسيين الراقين). لنذكر بأن الترجمة تصبح مستعصية أو غير دقيقة إذا لم تتم الإحاطة بالسياق. وهكذا عندما سمع أحد أصدقاء الممثلة سيمون سينيوري (La nostalgie n'est plus ce qu'elle était) يسارين غاضبين على زعيمهم يصرخون قائلين في ماي 1968 : "Mitterand à la santé"، ظن أن المتظاهرين يطالبون بمنح حقيبة وزارة الصحة لزعيمهم، لأنه كان يجهل بأن سجنا باريسيا يدعى كذلك. إن المترجم النبيه يحسن تحاشي مثل هذه المزالق بالبحث عن الوثائق.

وحسب لادميرال (1979، ص 182)، فإن مشاكل الترجمة الأدبية يمكن ردّها إلى ثلاثة أصناف:

أ) إن كانت الصعوبة مردّها إلى صورة دال signifiant النص الأصلي، فالترجمة متعذرة، ولكن هذا أمر نادر.

ب) إن كانت الصعوبة مردّها إلى الإيحاءات الدلالية connotations أو الصور الشعرية، فإنها تطابق محتوى دلاليا والترجمة ممكنة.

ت) إن تعلقت الصعوبة باشتغال النص (أو كانت ثمة قراءات متعددة للنص)، لا بدّ من استدعاء السيميائيات.

لا يجب أن ننسى بأن المطلب الحاسم يمكن في ترجمة معنى النص الأصلي بشكل واضح وأن يكون مقروءا. ولكي يفي المترجم بهذه المتطلبات، يمكن أن يقوم ببعض التحويرات. ولما كان لادميرال من دعاة الدراسة الدلالية للإيحاءات، فإنه يقترح العديد من النظريات للترجمة، التي وإن كانت مبنية على نظرية برأسها، هي في الواقع وصفات عملية recettes pratiques. إن الإيحاءات الثقافية المحتواة في الرسالة الأصلية حتى وإن كانت غير واردة في النص الأصلي يجب الإبانة عنها: نحن نعرف أنه بالنسبة للناطق

الإنجليزي لا تعني عبارة to be in town الوجود في المدينة، بل أن توجد في لندن. كما أن this country لا تعني "هذا البلد" بل " إنجلترا". عنــدما تكــون للصفة في الفرنسية أو الألمانية وظيفة معقدة مركبة، ينبغي ترجمتها بعبارة: فــ "analytical" يجب أن يترجم ب" d'ordre analytique "(من قبيل التحليــل) لإبطال، وإن جزئيا ومؤقتا، إيحاءات الكلمة الأصل وأداء الوظيفة العامة للسياق. كما أن لادميرال يقترح " التبعيد" dissimilation أي عملية "رمي الكرة إلــى أبعد مدى" وإظهار الفكرة، من ذلك مثلا ترجمته لـــ "naturwüchsig " بــــ "طبيعي وغير مراقب". كما ينصح بتحاشي الإيحاءات المضللة حينمــا يــوحي اســتعمال كلمــة، عــن طريــق تــداعي الأفكــار، بــشيء آخــر (مــثلا "Kommunicativ" في المجال الفلسفي ليس مقابله communicatif مثــل le communication بل بالأحرى جملة تفسيرية تستخدم rire communicatif أو ــ وإن كان الأمر نادرا ــ كلمة مولدة). ويذهب به الأمــر إلــى اســتعمال "المعنى المخالف الأدنى" contresens minimal . (أنظر لادميرال، 1979، ص 211 وما يليها).

في الواقع، إن هذا المعنــى المخــالف الأدنــى يــشبه كثيــرا التكــافؤ. مثلا، حينما تريد طالبة ثانوية إنجليزية إهانة زميل فظ خشن، قد تقول له: you are slug!. ولكن إذا كانت كلمة slug تعادل limace في علم الحيوانات، فلا وجود لمطابقة في مجال علم النفس، لأنه في هذه الحالة لا تعني سوى شــخص بطيء وخامل، في حين أن الطالبة تعني كائنا دونيا غير متحــضر. إن تناولنــا الأشياء حرفيا، فإن slug لن تعني يرقانة larve، ولكننا إن وضعنا في الحسبان قصد المتكلم (الاحتقار والتقزز) فإن larve تعادل .slug.

إن نظريات الترجمة التي وضعها لادميرال أو أساليب الترجمة المدروسة في الأسلوبيات المقارنة (لاسيما النسخ والاقتراض والتحويل والتكييف والمعادل

والاقتباس أو التعويض) توفر أدوات قيمة للمترجم الذي يرى بأنه ليست ثمة نصوص كثيرة مستعصية على الترجمة حتى في مجال الأدب. بيد أن ترجمة الشعر تصطدم بمشكل الانفعالémotion الذي تنطوي عليه الصورة والجانب الإيحائي لملفوظ ما في حين أن الآليات التي تتولى الإبانة عن هذا الانفعال تختلف من لغة إلى أخرى. فلئن كانت الروسية تستعمل كثيرا الأصوات الصفيرية، فإن هذا ليس حال جلّ اللغات الأوربية. فالقصيدة الروسية التي تحدث الانفعال بواسطة تكرار هذه الأصوات يجب أن تترجم بواسطة تكرار آخر مختلف ولكنه مكافئ، غير أن هذا الأمر ليس دائما ممكنا. إن مشكل الشعر طالما طرح بهذه الكيفية: هل يجب ترجمة الأبيات بأبيات أخرى؟ الآراء متباينة ولكن هناك إجماعا حول وجوب اعتماد المترجم إيقاعا وموسيقى خاصين يكونان مكافئين دون أن يكون بالضرورة متطابقين تماما. فالشعر، في نظر فاليري، هو "كيفية تغيير ما يحدث إلى ما سيكتب له البقاء" (أي اللغة الشعرية) (ذكره مونان، 1968، ص 160). ولمّا كان الأثر الفني إبداعا فريدا، فإن بودلير يرى بأن الترجمة لا تتمّ إلا في صلب فنّ آخر: إن نقد (أو لنقل ترجمة) قصيدة إنما هو بمثابة رسم لوحة للإبانه عمّا نحسّ به. في القرن التاسع عشر، قام شليقل في ألمانيا وفيتجرالد في إنجلترا بإعادة خلقre-création أعمال شعرية وهذا بكثير من التوفيق بدل ترجمتها. في زماننا هذا، يعمد العديد من الممثلين أو المؤلفين إلى اقتباس مسرحيات أجنبية وهم ليسوا بمترجمين حقيقيين.

إن هذه المفاتيح ليست في نظر اللسانيين المنظرين سوى وصفات بسيطة. غير أن المؤتمر الثامن للفيدرالية الدولية للمترجمين الذي تمّ في مونريال في 1978 قد كشف القناع عن ارتياب المترجمين من اللسانيات التي يرون بأنها لا تزال غير كافية وباعثة على التصلب والجمود. لقد أراد اللساني ماريو فندروسكا، المتخصص في اللغة الألمانية، أن يليّن من صلابة البنوية الشكلانية

التي يتهددها التبسيط المشتط والنزعة الاختزالية الرياضية بالتشديد على أهمية العناصر المعقدة غير اللسانية مثل التاريخ والثقافة وخاصة المقروئية وهذا في كتابه الموسوم "Pour une linguistique à visage humain". لقد ساهم أساتذة مدرسة L'ESIT بباريس في العدد الخاص لمجلة Etudes de linguistique appliquée (أكتوبر، 1973) ببلورة نظرية للتفسير مضادة للنظرية اللسانية وهذا من حيث أنهم يرون بأن الأولوية المطلقة إنما يجب أن تولى للمعنى، وأن السنن اللغوي المصدر le code linguistique-source يجب أن يختفي تماما، ولا يجب فحص سوى المعنى المستخلص من صورته اللسانية في المرحلة الثانية. ثمّ في المرحلة الثالثة، تتمّ إعادة صياغته في اللغة الهدف. إن أساتذة الترجمة يعرفون بأن إحدى أفضل المزايا لدى المترجم هي حاسة الشمّ (أي الفطنة)، وهي مزية فطرية تفلت جزئيا عن التحليل. تتسم طرائق الترجمة التي اقترحها كلّ من فيني وداربلني أو مالبلان بالنجاعة، ولكننا ندرك أن نظرياتهم قد جاءت بعد ذلك، فهي تبرر لاحقا ما كان سابقا عبارة عن سلسلة من الاكتشافات.

لا يجب مع ذلك الإفراط في الريبة. فاللسانيات ذات شأن وبال لأنها هي وحدها القادرة على السماح بالسيطرة على جميع الاكتشافات الجزئية للممارس بشكل منسجم. ولئن كانت الدراسة اللسانية لمشاكل الترجمة التي قام بها مونان قد تقادم عهدها، فإن المؤلفين قد استطاعوا التوفيق جزئيا بين المستلزمات المتناقضة للمعنى والأسلوب. في حوالي 1972، نصح شارل تابرC.Taber بالإقدام على التحليل المعنوي الجزئي analyse componentielle للكلمات، أي ليس الوقوف على مختلف المعاني التي تنطوي عليها كلمة واحدة (مثلا:main، passer la main، une main de toilette، avoir la main lourde، إلخ) بل الوقوف على هويتها في صلب مكوناتها المشتركة:

ف: main يكون من اللائق تصنيفها ضـــمن patte, griffe, pogne. وهـــذا يؤكد الفائدة المنوطة بتمرين يعرفه الطلبة في الترجمة جيدا: فالطالـــب المـــزود بقاموس المترادفات أو بالقاموس القياسي يبحث عن التنوعات. من ذلك مثلا أن dire يعني أيضا déclarer و faire une déclaration. كما أن ملاحظة تابر تلقي الضوء على كون معنى الخطاب هو محتواه المفهـــومي بالإضـــافة إلـــى محتواه العاطفي. إن الأسلوب هو بلورة شكل أو صورة ستختار(قـــد اختارهـــا كاتب النص الأصلي) وفق مجموعة من الاختيارات. فالأسلوب إذن مجموعـــة من الاختيارات المنجزة تمثل الأسلوب الأصلي بواسطة أسلوب ــ هدف مـــساو من حيث الوظيفة. في العدد الخاص مـــن مجلـــة Etudes de linguistique appliquée (1973)، يجد القارئ سسلسلة من الأمثلة الدالة من بينها: il a le cœur dur، فهذه العبارة إن ترجمت حرفيا إلى إحدى لغـــات البيـــرو الهنديـــة ستعطينا: il est courageux (= هو شجاع). ولترجمة المعنى الحقيقي، يجـــب أن نقول: il n'a pas de conduit auditif (ليس له أداة ســـمع). إن اليابـــاني الذي يأتي إلى أوربا يشكر مضيفه الذي قدم له طعاما فاخرا قائلا: أنـــت رجـــل ثري vous êtes riche. والحال إن العادات مختلفة في اليابان حيث لا وجـــود لمحظور حول الغنى والثراء، والياباني هاهنا أراد في الواقع أن يقـــول: شـــكرا على كرم الضيافة. فلا بدّ من ترجمة الكـــلام parole لا اللـــسان، أي المعنـــى الحقيقي المحصل sens actualisé ولـــيس المـــدلول اللـــساني المقـــدّر sens virtuel. في بعض الحالات، التي يخبرها المترجمون جيدا، يـــستعمل بعـــض الناطقين بلغة ليست لغتهم دلالة لسانية لا تناسب المعنى المقصود. مثـــال ذلـــك المعرّب الذي يـــضطر إلـــى اســـتعمال الفرنـــسية يمكنـــه أن يتحـــدث عـــن "déménagement au sein du département" فـــي حـــين يقـــصد aménagement. إن المترجم المحنك يترجم المعنى الحقيقي كما يرفع اللـــبس.

فماذا يعني l'OAS يا ترى بعيدا عن كل سياق؟ فلئن كان المتكلم يـشير إلـى الجزائر أو إلى فرنسا، فمـن المحتمـل أن يتعلـق الأمـر بمنظمـة الجـيش السرية، وإن كان يشير إلى أمريكا الجنوبية، فلا شك أن الأمر يتعلـق بمنظمـة الولايات المتحدةOrganization of American States.

إن لادميرال الذي يحاول بلورة نظرية مرنة جدا بالتعويل جزئيـا علـى تابر (مع رفضه للفصل بين المعنى والأسلوب اللذين يترجمان فـي مـرحلتين الأمر الذي يقضي بإضافة "موسيقى مصاحبة") يتبنى أفقا سيميولوجيا يفتح اللغة على البعد الثقافي كما فعل رولان بارت فـي Le degré zéro de l'écriture (1965) وهنري ميشونيك (مفهوم اللغـة ــ الثقافـة)، Pour la poétique II (1973). حينئذ يحتفظ بمفهوم الإيحاء (المعنى العاطفي) لإدماجه فـي نظريـة الإفادة théorie de l'information (وليس اللسانيات) من خلال نظرية التلفظ théorie de l'énonciation ومفهوم الملكة/الكفاءة. وهذا ويؤدي به إلى وضع نظرية دلالية للإيحاءات وحتى سـيميائيات الإيحـاءات une sémantique et même une sémiotique des connotations.

إن الحاجة إلى توسيع مفهوم اللغة أمر أساسي. وكـان دارسـو الكتـاب المقدس أول من أدرك ذلك حين اصطدموا بالمشكل الثقافي التالي: فالزيتونة في الكتاب شجرة مغذّية، فكيف يمكن ترجمتها إلى بعـض لغـات بلـدان الـشرق الأقصى حيث هذه الشجرة سامّة؟ وفضلا عن كون المترجم يجب عليه الإقامـة في الخارج للتشبع بثقافة البلد الذي يستعمل لغته، فإن هذا يضطره أيـضا إلـى وجوب استكمال معارفه اللغوية بواسطة علوم أخرى حتى يـستطيع أن يتـرجم الشيء أو المفهوم وليس الكلمة. لقد ترجم أحد الدارسين اللاهوتيين من القـرن السابع عشر وصفا كتابيا (أي من الكتاب المقدس) لمعبد سليمان Salomon ثم صوّر بالرسوم ما كتب: كان البناء يشبه كاتدرائية القديس بولس بلندن لأنه لمـا

كان يجهل الفن المعماري وعلم الحفريات فإن المترجم شوّه فكر المؤلف بأن فرض عليه رؤاه الخاصة حول الفن المعماري.

6 ـ سيرورة الترجمة: عرض أستاذ الترجمة ن. شوماخر في مقالة له آراءه حول كيفية مباشرة الترجمة (Analyse du processus de la traduction: conséquences méthodologiques, Meta, sept. 1973,pp.308-314). فهو يقسم هذه العملية إلى مراحل ثلاث:

أ) مرحلة الاستيعاب. في هذه المرحلة يتعرف المترجم على الصنف الوظيفي الذي هو عليه النصّ الأصلي الذي يتولى ترجمته. إن تعلق الأمر بالصنف الإخباري أو المرجعي (حكايات، تقارير، مقالات)، فإن التشديد سيكون على الوقائع والمعطيات الواجب إيصالها والتي يجب أن تقدم بشكل طبيعي ومتعارف عليه. أما الصنف التعبيري (السيرة الذاتية، الآداب، الخ) فهو يقدم الفكر الشخصي لمؤلف اختار كل كلمة، فهذا الأسلوب ذاتي ويسعى إلى إحداث التأثير. ويتعين على المترجم أن يقتفي مسعى فكر المؤلف وأن يولي العناية القصوى للمؤلف نفسه بالتركيز على الشكل المختار. الصنف الثالث هو الصنف القائم على الحضّ والنصح exhortatif (دعاية، إشهار، سجال وكذلك القوانين والأنظمة): بما أن التشديد يقوم على حضّ القارئ فإنه يجب دراسة أثر الإقناع أو الأمر حتى يعاد خلق أثره على المتلقي. أما الصنف الرابع أي السمعي البصري (سينما) فهو حالة خاصة يجب أن يأخذ في الحسبان مكوّنات أخرى مثل الموسيقى والصورة والحركة الإيماء. إن استكشاف الصنف الوظيفي يؤدي إلى توجيه عام: تعرّف المترجم المسبق على طبيعة النص الذي سيترجم.وهذا مما سيحمله على الوقوف على طبيعة أسلوب النص الأصلي بتحديد درجة رسميته degré de cérémonie (هل هو إجلالي أم خال من التنميق ، هل هو سوقي أم عادي؟) والإحساس الذي يطبعه (هل هو حيادي، هل يعتمد على الوقائع أم على الأحاسيس؟) ودرجة عموميته (هل هو نص عادي أم تقني ومتخصص؟). وبالنظر إلى الأسلوب والوظيفة، يختار المترجم

طريقة للترجمة: بالنسبة لأسلوب الحضّ، سيعطي الأولوية للرسالة ومن ثمّ سيشدد على أثر التبليغ، وبالنسبة للآخرين (السمعي البصري نضعه على حدة) سيسعى ما وسعه ذلك إلى تبني البنية الدلالية للملفوظ الأصلي.

(أكملنا نظريات شوماخر بنظريات ب. نيومارك الأستاذ بلندن، بالنسبة لما تقدّم).

عندما يستكشف النص الأصلي، يسخّر المترجم كلّ معارفه الفكرية والثقافية والعاطفية ليضع الملفوظ في سياق معين. وإن شعر بنقائص ما فإنه يستعين بالقاموس. وسيولي عناية خاصة للعناصر التي تتولى ربط الأفكار بعضها ببعض. يتعلق الأمر بحركة مزدوجة من التحليل والتركيب ذلك أن الفهم الجيد يتمّ من خلال الانسجام أكان داخليا (انصهار جميع الأجزاء في كيان واحد) أم خارجيا (العلاقة بين هذا النص والمجال الذي ينتمي إليه).

ب) مرحلة المقابلة النشطة بين موارد اللغة المنطلق وموارد اللغة الهدف. إن هذه المقابلة على صعيد وحدات الترجمة، تجري على مستويات ثلاثة (الإفرادي lexical، التركيبي والتعبيري). بالنسبة للنصوص التعبيرية، فإن للأسلوب الأولوية. إذا كان المترجم يتمتع بحرية كبيرة بالنسبة لنصوص الحضّ حيث يطغى الأثرأو التأثير على غيره من العوامل، فإنه على العكس مكبل بسبب التقنية (الضجيج المصطنع مثلا) فيما يتعلق بالصنف السمعي البصري.

ت) مرحلة الترجمة. يتعلق الأمر أولا بتجميع العناصر المحصل عليها بالعمل على أكبر الوحدات الترجمية الممكنة. عند الفراغ من كتابة أو تسجيل النص الأصلي، يجب على المترجم أن يعيد النظر في نصه ويفضّل أن يتمّ ذلك بعد فترة زمنية معينة. يقوم المترجم بقراءة نقدية (بصوت عال إن أمكن) لنصّه من حيث فحصه للانسجام الداخلي (أي كيفية ائتلاف وحدات الترجمة فيما بينها). وأخيرا، يقابل للمرة الأخيرة بين نصّه والنص الأصلي.

7 ـ الخلاصـــة: لا شكّ أن القارئ قـد لاحـظ أن المـشاكل النظريـة للترجمة تتعلق أساسا بالترجمة الأدبيـة. هـذا لا يعنـي أن الترجمـة التقنيـة لا تصطدم ببعض المشاكل، ولكنها من قبيل المجال العلمي (مثلا، بالنسبة لنص في الكيمياء، يجب على المترجم أن تكون له دراية جيدة بهذا العلـم) حيـث إن طبيعتها تجعل الرياضيين أو المعلوماتيين قادرين على دراستها. لهذا علّق الناس أملا كبيرا على الترجمة الآلية غداة الحرب العالمية الثانية. غير أنه فـي هـذا المجال، لوحظ في مجال الترجمة بـأن الممارسـة تطغـى علـى النظريـة. فالمترجمون يجمعون على أن المهنة هي الغالبة لأن الترجمة ، لما كانـت فـي مفترق طرق الفنّ والعلم، تتطلب الكثير من الفطنة والحذاقة. إن الوضع والسياق وآراء المترجم تختلف باختلاف النص الواجب ترجمته ومن ثمّ فإن المتـرجم لا يمكنه التعويل على نظرية بعينها لأن النظرية متصلبة. فعلى المترجم أن يكـون متفتحا ومصغيا ولا يجب عليه أن يفرض أي شيء على النص الأصلي.



إن كلمة "traduction" (= الترجمة) نفسها تسند للمترجم دورا متواضعا جدا ومحتشما، كما يوحي بذلك تاريخ خطأ الترجمة (فكلمة "ترجمة" traduction كان من المفروض أن تكون "توطئة" introduction في اللغات الرومنيةlangues romanes). إن أصل الكلمة في العديد من اللغات ــ ما عدا الألمانية ــ يرتقي إلى اللاتينية "traducere" الذي يعني نقل عبر... والحال إن هذا المعنى لا يزال محسوسا في الفرنسية من خلال العبارة "traduire quelqu'un en justice". أما الكلمة الإنجليزية فتطابق الكلمة الفرنسية translation التي كانت في السابق مقترنة بـ traduction التي تعني : نقل صورة دون الإساءة إلى ترتيبها الداخلي. وهناك أصل ثان للكلمة الفرنسية والإنجليزية drogman (الدليل ــ الترجمان في الشرق الأوسط) الذي يرتقي إلى السوريانية والموجود في العربية والتركية واليونانية البيزنطية. إن هذا الجذر قد ولّد truchement في الفرنسية أي الوسيط. فالمترجم بهذه المثابة إذن ليس سوى وسيط مكلف بمرافقة القارئ ليجعله يجتاز عقبة اللغة.

1 ــ صورة المترجم: هناك قديسون des saints برزوا في مجال الترجمة: فعلاوة على القديس جيروم Saint Jérôme، يمكن ذكر القديس سيريل Saint Cyrille والقديس ميتود Saint Méthode اللذين أنشآ الأبجدية السيريلية alphabet cyrillique وكذا القديس مسروب Saint Mesrop منشئ الأبجدية الأرمينية في حوالي 400. وقد منحت الكنيسة الأرمينية لقب "المترجم" لكل عالم أو قديس. وكان في تقويم هذه الكنيسة القديم عيد للمترجمين القديسين (13 أكتوبر) ويوجد دائما كاتدرائية للمترجمين في إريفان Erévan (الاتحاد السوفياتي). في القرن التاسع عشر، كان المسافر الأوربي الذي يزور الشرق

الأوسط والأدنى يقوم بذلك رفقة دليل ـــ ترجمان drogman، أصله في الغالب الأعم يوناني. كان التراجمة العاملون بالقنصليات المرتــدون ألبــسة مزركــشة ومطرزة بالذهب أناسا ذوي شــأن. فــشخص drogman، الترجمـــان ولـــيس المترجم، يتبوأ مكانة ممتازة في العديد من روايات الرحلات المنشورة في أوربا في الأرباع الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر. ولكن عندما أخذ توماس كوك المشهور ينظم رحلاته في النيل وفي طرق الحــجّ إلــى القــدس فــي حــوالي 1880، لم يعد الترجمان ضروريا وافتقد صيته: لم يعد سوى "دليل يتولى قيادة جحافل من السيّاح" حــسب الرحالــة الإنجليــزي ســيكس : Through five turkish provinces، 1900.

إن هذا الازدراء أصاب العديد من التراجمة والمتــرجمين الــذين ظلــوا طويلا محلّ شبهة. يقول كاري، في مقال له صــدر فــي 1962 : Pour une théorie de la traduction, Diogène, n°40) بأن القديس جيــروم أهــين وصوّر كامرأة وأن شعبا أسيويا أراد قتل أحد تراجمته، وهذا لأنه أصبح " رجلا ذا لغتين". إن هذه الخشية مبنية جزئيا على أحد الدواعي الدينية من حيث أوسع المعاني. هذا مع العلم بأن المسيحية شهدت العديد مــن المتــرجمين، فإصـــلاح القرن السادس عشر بأوربا هو إلى حدّ يعيد صراع مترجمين. كمـــا أن الريبـــة مأتاها ــ على الأقل في صلب اللغات الرومنية ــ كون كلمة traduction هـــي في الواقع خطأ (وهكذا تمّ التفكير مجددا فـــي العبـــارة الإيطاليـــة traduttore traditore (الترجمـــان خـــائن خـــوان)): كـــان علـــى Bruni أن يقـــول introduction. فضلا عن هذا، هناك بعض المفكرين الذين لا يمكنهم الكــفّ عن التفكير في الأخطاء التي كانت تشوب ترجمـــاتهم اللاتينيـــة التـــي كـــانوا ينجزونها في التعليم الثانوي واعتبار الترجمة خيانة. (حول هذه الأخطاء، فـــإن النموذج الكلاسيكي هو مثال الشاة التي أصبحت لتوها أمّـــا. فبالنـــسبة للفعـــل

اللاتيني المستعمل في النص، يورد القاموس: mettre ses petits bas, mettre bas. ولما أراد التلميذ أن يكيف ترجمته وفق وضعه في التعليم الثانوي، فقد ترجم كالتالي: la chèvre mit ses petites chaussettes (وضعت الشاة جواربها الصغيرة). هذا المثال يبين بشكل واضح للغاية بأن المترجم يجب أن يكون حياديا وأن لا يفرض أبدا أفكاره الخاصة أو أحاسيسه.

في القرن العشرين، يبدو المترجم، حسب لاربو، كائنا "غير معروف "فهو جالس في آخر مكان ولا يعتاش إلا من "الصدقات". فشعاره خدمة الغير، ويختفي بذكاء واستحياء. كما أنه أمين جدا. إنه يحسن مقاومة مزالق العبارات الإصطلاحية ومطبات المعاني المخالفة للمقصود. إنه يسعى إلى أن يظهر بمظهر القديس قداسة سان جيروم (Invocation, première partie).

غير أن نكران الذات والقداسة ليست بفضائل محبذة في عالمنا الحديث. فبسبب هذا التواضع الجمّ، طوى النسيان المترجم. في 1953، قام بعض المترجمين بردّة فعل وأكدوا حقوقهم تحت رعاية الفيدرالية الدولية للمترجمين FIT التي أنشئت في باريس في السنة التي أسس فيها التراجمة جمعيتهم المهنية A.I.I.C. وحسب دوروتي بوسي، مترجمة الكاتب أندري جيد، فإن هذا الأخير كان يتمنى أن يسنّ قانون "يلزم الكتاب الهواة بالقيام بترجمة واحدة على الأقل" (أنظر P.L.Rey, Le dictionnaire anglais de Gide, La Nouvelle Revue Française, Mars 1980, p.75). كان هذا أمارة عن الوعي بدور الترجمة الغامض والهام في النشاط الأدبي والذي لا يمكن قصره على الوساطة البسيطة. وكان بوشكين يشبّه المترجمين بالجياد التي تستبدل عند مسافات معينة، كما أن كتّابا آخرين يجمعون على القول بأن نشاط المترجم هو نشاط رجل ذي موهبة (صرّحت السيدة دو سائل Madame de Staël بأن الترجمة معناها تكرار موسيقى على آلة مختلفة). والحال إن قدرة محاكاة الأصوات

والأنغام تمثل إحدى المزايا الأساسية في الترجمة. في الاتحاد السوفياتي، يشتغل المترجمون اللسانيون في فرق مع مؤلف (أنظر: La Traduction, Bulletin du Centre d'études et discussions de littérature générale, Université de Bordeaux, 1955-56).

2 ـ الجمعيات المهنية: إن القرار المتّخذ في الدورتين السابعة والثامنة من المؤتمر العام لليونسكو في 1952 و 1954 بقصد تقييس المصطلحات وتشجيع جمع القواميس المتعددة اللغات وتحسين الترجمة العلمية قد أعطى دفعا قويا للمحاولات الرامية إلى هيكلة وتنظيم مهنة الترجمة. ودائما تحت رعاية اليونسكو، تمّ تأسيس الفيدرالية الدولية للمترجمين FIT في 1953 التي تضمّ جميع الجمعيات الموجودة في البلدان المختلفة وغايتها المحافظة على منزلة statut المترجم. وفي مقرها بباريس، هناك عدة لجان فرعية متخصصة في مجال الترجمة الأدبية أو المصطلحات وتاريخ الترجمة وحقوق المؤلف والترجمة القانونية وتكوين المترجمين وحتى الجوائز الممنوحة للترجمات. (وهكذا في فرنسا تمنح سنويا جائزة Halperine-Kaminsky للترجمة من قبل جمعية أهل الآداب). كما أن الفيدرالية الدولية للمترجمين تصدر مجلة تدعى Babel وتنظم مؤتمرات أحدها تمّ في باد قودسبير في 1959، وقد عالج مسألة النوعية في الترجمة وآخر تمّ في دوبروفنيك في 1963 وقد قام بحصيلة لنشاطاته ووضع ميثاقا للمترجم ...

هناك جمعية دولية أخرى تعنى بالترجمة ولكن بشكل غير مباشر وتدعى PEN وقد أنشئت في 1921 من قبل جميع الكتّاب. وقد خصصت هذه الجمعية مؤتمرها الذي تمّ في روما عام 1961 للترجمة.

لكل بلد أوربي جمعيته الخاصة التي تنتمي لـ FIT. في حال فرنسا، نذكر الجمعية الفرنسية للمترجمين وكذا جمعية المترجمين الأدبيين لفرنسا. بالنسبة لإنجلترا، نجد The Translators'Guild (المنشأة في 1955

مع قرابة 250 عضو منتقين أيما انتقاء، وهي تحت رعاية Institut of Linguists)...

في الجزائر، يتولى الاتحاد الوطني للتراجمة والمترجمين UNIT الدفاع عن مصالح المهنة. إن هذه المنظمة، الموضوعة تحت إشراف حزب جبهة التحرير قد تمّ ترسيم وجودها خلال الجمعية العامة في فيفري 1971. تنصّ القوانين الصادرة في جويلية 1977 بأن هذا الاتحاد مزود بشخصية معنوية ويمكنه التقاضي (المادة 2). كما أنها تنشئ فروعا محليا وتضم فروعه الأربعة الجهوية (الجزائر، وهران، قسنطينة، الجنوب) أعضاء المنطقة ويحدد عددهم الأدنى بعشرة (المادة 27). ينشط الاتحاد بمعية النقابات والمنظمات المهنية للقطاع الثقافي وله الحق في إنشاء أو تطوير مراكز التوثيق أو البحث وكذا مجلة متخصصة (المادة 6). توضح المادتان 7 و8 بأن التراجمة والمترجمين الحاملين شهادة ترجمان أو مترجم أو الذين ترجموا عملا منشورا أو الذين يدرّسون الترجمة والترجمة الشفوية يمكنهم أن ينخرطوا في الاتحاد بوصفهم أعضاء نشطين. أما الطلبة المسجلون في السداسي الثامن في قسم الترجمة أو الترجمة الشفوية بجامعة الجزائر يمكن أن يكونوا أعضاء منخرطين فيه. وللاتحاد هذا الذي يمارس نشاطاته على كافة التراب الوطني ويمثل جميع المترجمين والتراجمة، هيئات إدارية هي:

ـ الجمعية العامة، بوصفها أعلى هيئة، والتي تجتمع كل ثلاث سنوات.

ـ اللجنة المديرة وتتكون من تسعة أعضاء منتخبين لمدة ثلاث سنوات من قبل الجمعية العامة.

ـ المكتب التنفيذي المسؤول على نشاطات الاتحاد ويتكون من ثلاثة أعضاء منتخبين في صلب اللجنة المديرة. ويجتمع المكتب مرة على الأقل في الشهر (الفصل 6). يوجد مقر الاتحاد في 1 شارع عوف.

3 ــ الأخلاقيات (أخلاقيات المهنة): إن المترجمين والمنظرين لها ألحوا دائما على واجبات المترجم، ويعود الفضل لأول نصّ في هذا المجال لـ Etienne Dolet الذي نشر في 1540 Manière de bien traduire d'une langue en l'autre (أحسن الطرق للترجمة من لغة إلى أخرى). هناك مترجم معاصر مختص في الأدب الأمريكي ــ فولكنر ودوس باسوس ــ يلحّ على "وفاء الكلب" الذي يجب أن يتحلّى به المترجم (M.Coindreau, Mémoires d'un traducteur, 1974). غير أنه بفضل الجمعيات تمّ الاعتراف بهذه الحقوق. وكمثال على ذلك، نذكر أن جمعية المترجمين الأدبيين بفرنسا قد بيّنت للجمعية الفرنسية للتقييس AFNOR بأن المقياس الدولي ISO حول تقديم الترجمات (أنظر الوثيقة في نهاية الدروس) " غير كاف بالنظر لترتيبات القانون الفرنسي الذي يعترف صراحة للمترجمين بصفة المؤلف ومن ثمّ بالحقّ الدائم الذي لا يقبل التصرف فيه ولا يقبل التقادم... إن اسم المترجم أو المترجمين لعمل أجنبي مترجم إلى لغتنا يشكل عنصرا هاما من عناصر هوية العمل (...) ولا بدّ لاسم المترجمين أن يظهر في أي مكان يذكر فيه عنوان أو مراجع العمل المترجم أيا كانت طبيعة وطريقة توزيعه (النشر، الصحافة، الإذاعة، التلفزة، المسرح، السينما، الخ). كما يجب أن يظهر وجوبا على صفحة العنوان وكذا في جميع المنشورات الإشهارية أو البيبليوغرافية وفي المقتطفات والمنشورات المسلسلة وعروض الصحافة المكتوبة أو المنطوقة إلخ، المتعلقة بهذه الكتب.

إن هذا المعيار الحاسم بالنسبة للمترجمين لا تخلو من الفائدة بالنسبة للجمهور نفسه. فكثيرا ما يظن القراء عن حسن نيّة بأن هذا الكاتب الأجنبي قد عبّر مباشرة بالفرنسية، وذلك جرّاء عدم الإشارة إلى الترجمة (...)" (Lettre de la présidente de l'Association des traducteurs littéraires de France, Le Monde, 15 juin 1979. La norme AFNOR citée est: NF 2 41-004).

إن الأخلاقيات déontologie (نظرية الواجبات الأخلاقية على الصعيد المهني) تفرض قانونا صارما جدا. فالمترجم مطالب باحترام السر المهني: لا يجب عليه إفشاء المعلومات لاسيما إذا كان يشتغل لحسابه الخاص ويعرض خدماته تباعا لمؤسسات منافسة. فثمة مناورة تجسّس اقتصادي تلتجئ إليها المؤسسات الأمريكية تتمثل في إغراء موظفين في مصالح التوثيق والترجمة قصد معرفة المجال الذي توجه إليه المؤسسة المنافسة جهودها في البحث. بيد أن المترجم، كما الباحث والجامعي، يجب أن يكون قادرا على الكشف عن مصادره. والمثال الجيد على ذلك التقاليد الجامعية: يجب على الطالب أن يذكر في قائمة المراجع جميع الكتب التي اطلع عليها. عمليا، لا نطلب من المترجم أن يذكر جميع أدواته أو مصادره ولكنه لا يجب عليه التباهي والاستيلاء على اكتشافات الغير (اللهم إلا إذا أصبحت من قبيل الملكية العمومية) دون الإشارة إليه. إن الأمر يتعلق بالأمانة الفكرية ليس إلا. الواجب الثالث هو الكفاءة. فالمترجم الذي يعمل لحسابه الخاص والذي يعرض عليه عمل مأجور كما ينبغي، يجب عليه عندما يخرج عن مجاله المعتاد أن يتأكد بأنه سينجز هذا العمل إما بالبحث عن الوثائق الضرورية أو بحضور دروس أو بالاتصال بمختص سيقدم له جميع المعلومات المطلوبة. وفي حال وجود شكوك، رغم ذلك، يجب على المترجم أن يرفض العرض المقدم له. وإذا كان المترجم موظفا، فلا يمكنه رفض العمل. أما الواجب الرابع، فهو التحلي بالوفاء. ونعود هاهنا إلى الجدال القديم حول الوفاء في مجال الترجمة، والمتمثل في حركة التأرجح بين المستلزمات المتناقضة للحرفية littérarité والتصرف وقضايا الترجمة بوصفها علما والترجمة من حيث هي فنّ. وما دام الحال كذلك فإن الحلّ يكمن في الانتصار إلى الوسطية la théorie du juste milieu خاصة فيما يتعلق بالجزء الأكبر من النشاط الترجمي في عالمنا المعاصر، أي الترجمة

العلمية والتقنية. في الأخير، وبعد جميع الواجبات المذكورة في ميثاق المترجم في 1963، ينبغي إضافة لا واجب صوري بل توصية: إتقان استعمال آلة رقن. ذلك أن فكّ رموز مخطوط من قبل شخص آخر قد يفضي إلى أخطاء. وفضلا عن هذا، فإن حساب طول النصوص ومن ثمّ الأجر يتمّ على أساس النصوص المرقونة. في النهاية، فإنه من باب احترام الذات والآخرين تقديم عمل متقن ومقدم بشكل جيد. (بالنسبة لكل ما تقدم، يلاحظ أن بعض هذه الواجبات تنطبق على التراجمة).

4 ـ **تكوين المترجمين والتراجمة:** كانت تقنية الترجمة، خلال فترة طويلة من الزمن، تتعلّم في الميدان sur le tas. وعلى الرغم من أن مؤرخي الترجمة تحدثوا عن "مدرسة" بغداد أو "مدرسة" طليطلة أو "مدرسة" أديسا Edesse، فإن التعلم كان يتمّ عمليا ولم تكن ثمة دروس منتظمة للترجمة. في بعض الأحيان نجد أن عمداء المترجمين أو التراجمة عصاميون. غير أن أول مؤسسة قدّمت دروسا خاصة بالترجمة فقط (لنذكّر بأن في أوربا تندرج الترجمة ضمن تعليم اللغات) تمّ تدشينها في 1930 بمانهايم (ألمانيا) وحوّلت بعد ثلاث سنوات إلى هيدلبارغ. وكان لا بدّ من انتظار الحرب العالمية الثانية كي يتطور تعليم الترجمة. في ظرف بعض السنوات، أنشأ كل بلد أوربي معهدا (أو عدة معاهد) أو مدرسة. ومن بين هذه المدارس الأولى نذكر مدرسة جونيف (1940) ثمّ لمّا انتهت الحرب، ظهرت مدارس زوريخ وجيميرشيم وساربروك (التي أنشئت برعاية نانسي بفرنسا)، وقد أسست كلها في 1947 وكانت اللغة الألمانية أهم لغة عمل. في الخمسينيات والستينيات، جاء دور مدرسة باريس ESIT ومدرسة مونسMons (بلجيكا) ولندن وتريست وروما الخ. في قارة أمريكا المالية، نشير إلى مدرسة مونريال (كندا) التي أنشئت في 1951. وقد ظلت المدرسة العليا للترجمة بالجزائر، التي تأسست في 1964، ثمّ ألحقت

بمعهد اللغات الأجنبية بجامعة الجزائر والتي أصبحت قسم الترجمة والترجمــة الشفوية، قلت ظلت المؤسسة الوحيدة المختصة في هذه المنطقــة مــن العــالم، باستثناء مدرسة القاهرة. في حوالي 1970، فتحت العديد من الجامعات شــعبة جديدة متخصصة في الترجمة بغرض تلبية الحاجات المتزايدة للسوق. وهذا شأن المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بتولوز لوميراي التي قامت بأول حـصيلة لها في 1976. في هذه الفترة أيضا، وفرّت الجامعات لأول مرة إمكانية إجــراء البحوث في مجال الترجمة (نيورك 1970) ولكن عدد المدارس والمعاهد التــي تستقبل طلبة في ما بعد التدرج قليل لأنها رأت بأنه يجب تكوين ممارسين قبــل كل شيء. إن مدرسة باريس ESIT من المدارس القليلة جدا التي فتحت تكوينا فيما بعد التدرج (الدور الثالث) مع مدرسة مونس وفي 1980 فتحت مدرسة باث (إنجلترا) ماستر عربيةــ إنجليزية بعد أن قامت بنفس الشيء للغــات أخــرى. وهذا من شأنه أن يحلّ مشكلة الاعتراف بالشهادات من قبل الأسرة الجامعيــة. بالفعل، إذا كانت بعض المــدارس (ومــن بينهــا Polytechnic of Central London) تدرّس الترجمة والترجمة الشفوية لأناس يحملون شهادات جامعيــة فإن شهاداتهم هذه ذات قيمة عملية ليس إلا.

فيما يلي قائمة المؤسسات الجامعية التي انضمت لــــ C.I.U.T.I فــي جانفي 1979:

Anvers (Belgique) - Universiteit Antwerpen RUCA HIVT-RITRS UNIVERSITAIR CENTRUM - Hoger Intitute voor vertalers en tolken- Schilderstraat 41 - B 2000 Antwerpen.

Bath (Grande Bretagne)-School of Modern Languages-University of Bath-Claverton Down-Bath BA 7AY

Copenhague (Danemark)-Language Department-School of conomics and Business Administration-Fabrikvej 7-DK 2000 Copenhague.

Edinburgh (Grande Bretagne)-(Edimbourg)-Department of Languages-Heriot-Watt University-Mountbatten Building - 31-35 Grassmarket- Edinburgh EHI 2HT

Genève (Suisse)-Ecole de Traduction et d'interprétation-Université de Genève - 19 Place des Augustins- CH 1205 Genève.

Germersheim (RFA)-Fachberreich Angewandte Sprachwissenhaft-Der Universität Mainz -D 6728 Germersheim L/ Rhein

Heideberg (RFA)-Fachgruppe Angewandte Sprachenwissenschaft-Domestcherinstitut, Universität Heidelberg- Landfriedstrase 12-D 6900 Heidelberg

Mons (Belgique)-Ecole d'Interprètes Internationaux-Université de l'Etat à Mons-Avenue du Champ de Mars -B 7000 Mons

Montréal (Canada)-Département de Linguistique et Philologie-Ecole de Traduction, Faculté des Arts et Sciences-Université de Montréal-CP 6128 Montréal

Paris (France)-Ecole Supérieure d'Interprètes et de Traducteurs-Centre Universitaire Dauphine-F 75116 Paris

Sarrebruck (RFA)- Institut für uebersetzen und Dolmetchen-Der Universität des Saarlandes-Fachrichtung Angewandte Sprachwissenschaft-Owie Uebersetzen und Dolmetschen-D 6600 Saarbrücken

Trieste (Italie)-Scuola di Lingue Moderne per Traduttori ed-Interpreti di Conferenze-15 via 'Alviano-I 34100 Trieste.

Vienne (Autriche)- Institut für Ubersetzer und olmetcheraus-bildung- An der Universität Wien- Dr. Lueger Ring I- A 1010 Wien.

Washington (USA)- Division of Interpretation and Translation- School for Languages and Linguistics-Georgetown University- Washington DC 20007 USA

5 ــ التنظيم الخاص بالترجمة: إن الأخلاقيات نظام قانوني يعتمد طواعية وهو ذو طابع معنوي وليس قانونيا صرفيا ويخصّ جميع المترجمين في كل البلدان المنتمية إلى جمعية. ولكن يوجد في كل بلد نظام قانوني خاص نابع من التنظيم الخاص لكل بلد. في هذا الباب، نجد أن للجزائر مراسيم وأوامر متعلقة بالتكوين والملكية الأدبية والفنية وحقوق المؤلف وكذا للدفاع عن المهنة.

لا بدّ من العودة إلى 1795 تاريخ إنشاء المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية بباريس التي كانت تكوّن تراجمة. يوضح المرسوم الفرنسي ب 29 ماي 1846 شروط توظيف واستخدام هؤلاء التراجمة (مترجمون) في الجزائر. هذه الترتيبات أعيد ذكرها في مرسوم 16 سبتمبر 1924. أما مرسوم (سبتمبر 1945 (المعدل من قبل مرسوم "مارس 1952") يحدد أجر التراجمة والمترجمين المحلفين. منذ الاستقلال عني التنظيم الجزائري بثلاث نقاط. فيما يتعلق بممارسة المهنة ظهر مرسومان: رقم 68ــ289 بتاريخ 30 ماي 1968 المتعلق بقانون المترجمين الخاص ورقم 69ــ9 بتاريخ 8 فيفري 1969 حول إنشاء مكتب الترجمة في الوزارات (نشر في الجريدة الرسمية في 17 أكتوبر 1969، ص1008ــ1009). في مجال الدفاع وحماية المهنة وعلاوة على إنشاء الاتحاد الوطني للتراجمة والمترجمين المرسم في 1971، فإن الأمر رقم

73ـــ14 بتاريخ 3 أفريل 1973 المظم لحقّ المؤلف يتـــضمن بعـــض المـــواد المتعلقة بالترجمة (31،30،24،23،12،3) ويحيل على بعض ترتيبات القانوني الجنائي الذي ينصّ وإن بشكل غير صريح على عقوبات بالنسبة للإساءة للملكية الأدبية والفنية (المواد من 390 إلى 394). أخيرا، في مجال التكـــوين، يـــنصّ المرسوم 64ـــ145 بتاريخ 22 ماي 1964 على إنشاء المدرسة للعليا للترجمـــة ويحدد قوانينه. أما المرسوم 70ـــ104 بتاريخ 20 جويلية 1970 فينصّ علـــى إنشاء ليسانس في الترجمة والترجمة الشفوية لتحلّ محلّ الديبلوم القديم للمتـــرجم ـــ الترجمان.

إن القانون المنظم لحقوق المؤلفين جدير بأن نقف عنده مطولا، لأنـــه ذو طابع خاص جدا. في المجلة الشهرية للملكية الفكرية للـــ O.MP.I (المنظمـــة الدولية للملكية الفكرية التي يوجد مقرها بجونيف)، المسماة Droit d'Auteur، يوضح أ. بن شـــنب خـــصائص التنظـــيم الجزائـــري (Lettre d'Algérie, pp.2426248, Octobre 1976). يذكر أولا بـــالأمر الـــصادر فـــي 1973 المنشئ للديوان الوطني لحقوق المؤلف (وهي مؤسسة عمومية تتـــولى توزيـــع حقوق المؤلف في الجزائر منذ 1977) قبل أن يوضح بأن الأمر يحمـــي "كـــل إبداع فكري" بما في ذلك الترجمات والاقتباسات شريطة أن يتعلق الأمر بأعمال أصيلة وليس أعمالا محاكاة أو مزورة التي تعاقب عليها المادة 390 وما يليهـــا من القانون الجنائي. غير أن "النصّ لا يوضح ما إذا كان للمؤلـــف الحـــقّ فـــي مراقبة عمل المقتبس أو المترجم" (ص245). وفضلا عن هذا، إن الحق الإرثي patrimonial مقيد بعض الشيء من قبل المادة 23. ذلك "أن ممارسة هذا الحقّ مرهون باحترام احتكارات الدولة، الأمر الذي يتطلب احتكار الـــديوان الـــوطني لحقوق المؤلف (...) والشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع. فـــاحترام احتكـــارات الدولة هذه يبين مدى ارتباط الملكية الفكرية بفائدتها الاجتماعيـــة. إن ممارســـة

المؤلف لحق الإرث، من حيث التصور الاشتراكي الجزائري لا يجب أن ينحط بحيث يصبح ملكية مستغلة (بكسر الغين) (ص 246). ويواصل بن شنب تحليله فيلاحظ بأن بعض التليينات تحدّ من حق المؤلف. وتسخير هذه التليينات يتمّ من خلال منح رخص استغلال غير مبالغ فيها من قبـل وزارة الإعـلام والثقافـة. "يمكن منح رخصة للترجمة من قبل السـلطة الجزائريـة، غيـر أن المـواطن الجزائري هو وحده الذي يمكنه الاستفادة منها. ولا بدّ للطالـب postulant أن يبرر بأن الوثيقة المكتوبة التي يرغب في ترجمتها قد نشرت على الأقـل منـذ ثلاث سنوات وبأنه قد التمس التسريح بترجمتها ونشرها لدى صاحب الحقّ وبأن الترجمة غايتها تقديم خدمة مدرسية أو جامعية أو خدمة البحث وبـأن ترجمـة الكتاب لم تنتشر في الجزائر وأن الطبعة قد نفـدت "(ص 246ــــ247). ثمـة رخصة أخرى يمكن الحصول عليها من قبل الإذاعة والتلفزيون الجزائري التي تلتزم "باستخدام الترجمة لغايـة إعلاميـة علميـة أو بهـدف تقـديم بـرامج تعليمية، علما بأن البرنامج هذا لا يمكن أن يتخدم في التبادلات الثقافية الدوليـة. يبدو أن هذه الرخصة لا يصاحبها مبدأ تقديم الأجر لصاحب حق الترجمة، الأمر الذي يشكل فراغا مؤسفا لا نعثر على مـا يـشبهه فـي الحـالات الأخـرى" (ص247). في الأخير، يوضح بن شنب بأن مدة حق المؤلف مقلصة، "لـصالح المجموعة الوطنية" (ص 247). فعلا، إن معاهدة برن التي انضمت إليها جـلّ البلدان الأوربية تحدد هذه المدة ب 50 سنة، وهي في الجزائر 25 سنة.

6 ــ الترجمة البشرية والترجمة الآليـة: كما لاحظنا ذلك سـلفا، فـإن جمعيات ومدارس الترجمة قد سعت إلى ضمان الشغل وقانون المترجم. بيـد أن المهنة بدت معرضة للخطر بسبب ابتكار آلات للترجمة. بالفعل، لقد اسـتثارت الترجمة الآلية آمالا عريضة غداة الحرب العالمية الثانية.

في الواقع، إن ديكارت هو أول من فكّر في الترجمــة الحرفيــة الآليــة mécaniser le mot à mot بوضع قاموس مشفوع بأرقام رمزيــة numéros de code في النصف الأول من القرن السابع عشر. إن مشاريع ابتداع لغــات المية حوالي 1900 وكذا تطور السنن الرمزيــة codes cryptographiques في الاتصالات العسكرية والديبلوماسية والاتصالات البحرية والتلغرافية كل هذا أدى إلى إذكاء العناية والاهتمام بسنن بسيط ورياضي يسمح بالانتقــال الــسريع والسهل من لغة إلى أخرى بفضل آلة يمكن حتى للــساني أن يــستعملها. فــي الثلاثينيات، شرع أرستوني في باريس وخاصة ســميرنوف تروجنــسكي فــي الاتحاد السوفياتي في وضع قاموس آلي. ابتكر السوفياتي ما أسماه علــى نحــو غريب عجيب ب "طريقة الترجمة الأحادية اللغة" بفضل آلة مع قراءة الــذاكرة بواسطة صور. ولكن كان لا بدّ من انتظار العشرية المواليــة (تطــور تقنيــات الاتصالات والسيبرنطيقا والحساب السريع جدا بواسطة الحاسبات الإلكترونية ثمّ الحواسيب) كي يقيم فكّ الرسائل messages الذي حصل أثناء الحرب من قبــل المخابرات جسرا بين اللسانيات والرياضيات. بعد ذلك بكثير، أدى التنامي الهائل للحاجات في مجال الترجمة التجارية والعلمية أو التقنية وكذا تكــاثر المجــلات المتخصصة قلت بالمختصين العاجزين على قراءة كل ما ينشر في مجالاتهم إلى تشجيع الباحثين على ابتكار آلة للترجمة.

في 1946، نشأت الآلة المترجمة الإلكترونية الحديثة بلندن التــي تــولى دراستها A.D Booth انطلاقا من الحاسبات الإلكترونية الباهظة الثمن آنــذاك. وبتشجيع منه، عني ريشانس Richens المختص في الجينات النباتيــة بالبحــث الآل في مجال القوائم nomenclature واكتشف حلاّ لمــشكل أواخــر الكلــم désinences والكلمات المشتقة، وهو أمر كان من قبل عقبة كــأداء لترجمــة لغات مثل الألمانية والعربية أو الروسية. وقد كلّفت مؤسسة روكفلر بالولايــات

المتحدة السيد و. فيفر Weaver بمهمة وضع قاموس آلي، وقد أثارت المــذكرة التي وجهها هذا الباحث لزملائه عناية كبيرة في 1949. في 1950، عيّن فيفــر بمستوسات أنستيوتوت أوف تكنلجي MIT قرب بوستن والتفّ حوله فريق مــن الباحثين أشهرهم بار هلال Bar Hillel. بعد سنتين تمّ مؤتمر هامّ نظمها كــل من MIT ومؤسسة روكفلر في الوقت الذي انكــبّ المــؤتمر الــدولي الــسابع للسانيين لأول مرة على موضوع الترجمة الآلية.

لابدّ أولا من الاتفاق حول المصطلحات. تتحدث بعض المجلات وبعــض الكتب عن "traduction mécanique/mechanical translation (الترجمــة الميكانيكية/الآليــة) أو "machine tranlation" أو "computer translation" أو كذلك "traduction automatique". هذا اللفظ الأخير، المقترح مــن قبــل السوفياتيين، هو الذي فرض نفسه في 1959 مع مؤســسة الجمعيــة لدراســة وتطوير الترجمة الآلية. في هذه الفترة، كان يوجد قرابــة 20 مركــزا للبحــث خمسة منها صينية والعديد من المجلات.

إن اشتغال الآلة بسيط من الوجهة النظرية: عند المــدخل (input) يقــدّم النص باللغةــ المصدر، ثمّ تغّل الآلة ذاكرتها وتعطي عنــد المخــرج output النصّ مدوّنا باللغةــ الهدف. تفحص الذاكرة سريعا جميع الفرضــيات الممكنــة بإقصاء ما لا يليق شيئا فشيئا. ويرى دولافني (موسوعة Le Langage تحــت إشراف مارتيني، 1968)، بأن جملة مكوّنة من خمس كلمات قد تفضي إلى أكثر من 600 حلّ، يقصى ثلاثة أرباع منها توا، أما الأخرى ــ ما عــدا واحــدا ــ فتسمح برفع اللبس. لكن الآلة لا تفكّر. فهي تشعر بالصعوبات عند بداية مرحلة التقطيع. بالفعل، إذا كانت الآلة غير مبرمجة بشكل خاص فإنها لن تعاين وحــدة الترجمة التي تقابل مثلا petit bois (من حيث المعنى التالي: الحطب الخــاص لإيقاد النار). قد تخفق في الوقوف على العبارات الاصطلاحية لاسيما تلك التــي

يقوم النبر الخاص بالإبانة عنها في الحديث. (يـــذكر دولافنـــي حالـــة : ça va المتبوعـــة بـــالجواب ça ne va pas. بالنـــسبة للجـــواب " il n'y a pas de problème" بالنسبة للألمانية: das geht nicht ولكن بالنسبة للإنجليزية يجب معرفة حال الخطاب أو المقام: إذا تعلق الأمر بشيء غير جيد من حيث القامة: it does not fit. وإذا تعلق الأمر بالذوق : it does not suit، وبشيء لـــيس سليما: it is wrong أو بالردّ على التحية: I am not well). لا يمكن للآلـــة دائما أن تقف على المقصود في الجملة التالية التي يوردها دولافني: quand la grand'mère rentra, l'enfant lui apporta ses pantoufles et sa poupée". في الإنجليزية تظل الوحدة الدالة على الملكية her فـــي حـــين فـــي الألمانية إذا ترجمت كلمة enfant بـــ mädchen فإن sa ستصبح seine و ses تصبح ihre. والحال إن كان السياق واضحا جدا بالنسبة للمترجم البشري فـــإن poupée لا يمكن إلا أن تكون دمية الطفل، فالآلة يمكن أن تخطئ في المالـــك للشيء في الألمانية لأنها غير قادرة على التفكير كما نفعل نحن البشر. فالـــسياق الواضح بالنسبة للإنسان، لا يمكن أن يسعفها في الجملة التالية: le melon de mon oncle qui n'est pas encore mûr. يمكننا اعتمـــاد مثـــال دولافنـــي وتنويعه إلى ما لانهاية.

إن مشروع الترجمة الآلية التي بادرت به جامعة مونريال في 1965 قـــد أفضى إلى عرض في عدد مارس 1973 من مجلـــة META. يهـــدف هـــذا المشروع إلى اكتشاف نموذج رياضي لسيرورة الترجمة بوضع قاموس يتضمن 10000 كلمة. غير أن العملية لا تعطي سوى 70% من الجمل المترجمة بشكل سليم ولا تنتج سوى ديباجة أولى للترجمة. فالحاسوب لا يمكنه أن يشتغل وفـــق المعنى ولا الاشتغال على السياق ولا استخلاص بعض النتـــائج. وهكـــذا فـــإن الجملة التالية تطرح أربعة مشاكل تأويل يمكن للترجمة البشرية معاينتها وحلهـــا باعتماد الوثائق، الأمـــر الـــذي لا تقـــوى عليـــه الآلـــة: The Federal and

provincial governments (1) have been investigating completely (2) new ways of locating timber (3) and mineral resources by :(4) remote means

1) كم يوجد من حكومات gouvernements : 1 fédéral و1 provincial؟ أم 1 fédéral وعدة حكومات provinciaux؟

2) هل completely يتعلق بالفعل أم ب ways؟

3) هل يتعلق الأمر ب timber أم ب timber resources؟

4) هل by يخصّ investigating أم locating؟

(أنظر مجلة META مارس 1973 ص 277 وما يليها).

إن الترجمة الآلية لا يمكن أن تعالج سوى ملفوظات بسيطة خالية من الاستعارات والصور البيانية. فماذا عساها تفعل يا ترى بحوار من حوارات ريمون دوفوس Raymond Devos (ممثل هزلي فرنسي مشهور) مثلا؟ (نذكر من بين حواراته هذه : où est la mer? –la mer, elle est démontée-vous la remontez quand?). بله إننا نلاحظ أن المترجمات الموجودات في السوق الفرنسية في 1979 عاجزات عن ترجمة الجملة الآتية، وهي مع ذلك طلب كثيرا ما يعبّر عنه العديد من المسافرين في فنادق العالم: "Réveillez-moi demain à 6heures". (جريدة L'Express, 7 avril 1979). إن اللغة المستعملة برقية télégraphique والذاكرة لا تحتوي اليوم سوى 1000 إلى 1500 كلمة ولكن من المأمول أن يخزّن قرابة 200000 كلمة في سفطة cassette في القريب العاجل.

7 ـ **الخلاصة:** الترجمة الآلية التي علّقت عليها آمال كبيرة بين 1949 ونهاية الستينيات، لم تفض إلى حدّ الآن إلا إلى نتائج هزيلة مخيّبة. فهي في المحصلة لا تقدم لنا سوى ديباجة أولى وهو شيء ذو فائدة بالنسبة للهيئات الرسمية التي أثقل كاهلها العدد الهائل من الوثائق الواجب ترجمتها. حقا، إن آلة

الترجمة، الأكثر سرعة من الإنسان، تسمح بالوقوف على أهمّ ما يوجد في النصّ، وهذا الأخير إن بدا ذا بال فسيعرض حينئذ على مترجم لكي يتولى نقله بكل جزئياته. وإن لم يكن كذلك، فعادة ما يكتفى بتلخيصه. وهكذا في الوقت الراهن، نجد بأن الترجمة الآلية لا تهدد المهنة التي حددّت منزلتها بشكل واضح. غير أن البحث في الترجمة الآلية متواصل دون ضجيج. وعلى الرغم من أن العديد من المراكز (بعضها تابع لوزارة الدفاع في لدان مختلفة) قد وقّفت رسميا أعمالها التي تعدّ مكلفة جدا، فإن الدراسات هي في الواقع راكدة ويمكن أن تستأنف متى حصلت فتوحات دالة في مجال الرياضيات أو المعلوماتية. لقد أعقب الحماس المشتط للبدايات مرحلة من الفشل المبالغ فيه ثمّ مرحلة من الترقب. يرى الأستاذ فوكوا، وهو بصدد الحديث عن مركز قرونوبل المنشأ في 1961، "لبلوغ ترجمة آلية ذات جودة عالية، لا بدّ من القيام ببحوث منتظمة من التحليل والتفريع ومقارنة اللغات"

"Pour aboutir à une traduction automatique de qualité, il faudra passer par des études systématiques de l'analyse, de la génération et de la comparaison des langues ". (La traduction automatique à Grenoble, 1975, p.17).

تتمّ الترجمة بأشكال مختلفة، من ذلك مثلا ما يعرف بالتمرين المدرسـي المتمثل في نقل نصّ من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبيـة أو العكـس أو العـرض الشامل أو المختزل ومحضر حصة أو كذلك وضع وثيقة تقدم تركيبا للعديد مـن الوثائق المدونة بلغة أخرى. عندما يتعلق الأمر بترجمة مرتجلة لوثيقة لم يطّلـع عليها من قبل، يجري الحديث دائما عن "الترجمة". ولكن متـى تعلـق الأمـر بترجمة بخطاب شفوي، يجري الحديث عن "الترجمة الشفوية" interprétation التي يراد بها "إعطاء معنى واضح لشيء مبهم" (قاموس Robert). هذا التحديد يكشف عن وجود تمييز أساس بين طبيعة الترجمة وطبيعة الترجمة الشفوية على الرغم من أن عامة الناس يعتقدون أن الأمر سـيان. ولهـذا الـسبب إذا كـان الترجمان يحسن الترجمة، فإن المترجم لا يحسن بالضرورة الترجمة الـشفوية. والحال إن المدارس تفصل الشعبتين التكوينيتين حتى وإن كان جميـع الطلبـة يقومون بالترجمة في مرحلة أولى أو في فترة من الفترات. (علما بأن التراجمة ينصحون بالقيام بالترجمة بين الفينة والأخرى حتى يتحكموا في النزعـة إلـى الابتعاد عن النصّ).

1 ـ تاريخ الترجمة الشفوية: في البدء كانت الترجمة شفوية وقد وجـد الترجمان قبل المترجم. ترتقي كلمة drogman (ترجمان) إلى اللغة السوريانية "رجم" التي تعني "التكلم". في الغرب، طغى المكتوب بفضل الطباعـة والـزخم الثقافي للنهضة.

في الأزمنة الغابرة، دعت حاجة التواصل بعض الناس إلـى أن يكونـوا تراجمة. وكان أمراء جنوب مصر يلقبون بافتخار "رئيس التراجمة" "3000 سنة قبل الميلاد. وكان المصريون أول من حاول حلّ مشكل التواصل إما بالـدعوة

إلى استخدام لغة عالمية واحدة (التي كانت ذات مرة اللغة الأكادية ــ التي كتب بها حمورابي قانونه المشهور). أما عند اليهود، فقد كان رهبانهم يقرأون النص المقدس المدون بالعبرية ويشرحونه بالأرامية (أنظر Bible, Néhémie, 8,8) في المعبد، كان النص المقدس يقرأ كذلك بصوت خافت ويترجم بشكل فــوري بصوت عال.

لما كان اليونانيون مقتنعين بتفوقهم الثقافي فإنهم لــم يــشجعوا الترجمــة الشفوية بما أن لغتهم كانت مستعملة في وض المتوسط برمته. ولكن، بعد خيانة حانون Hannon بقرطاج (حوالي 300 ق.م)، منع اســتعمال الإغريقيــة دون ترجمان. عند الرومانيين، اكتست وظيفة الترجمان أهمية بالغة. وظلــت رومــا تعيّن الموظفين العسكريين المكلفين بالترجمة الشفوية عبر روما قاطبة إلى غاية 400 ميلادية. لقد ساهم انتشار المسيحية أيضا في تطور الترجمة الشفوية: فــي الرســالة الأولــى التــي وجههــا الحــواري apôtre بــولس للكــورنتيين (Corinthiens الكتاب المقدس) جعل اللجوء إلى التراجمة أمرا ملزما في كل جمعية متعددة اللغات ونصّ فيها على قانون حقيقي موضحا بأنــه يجــب مــنح الترجمان الوقت الكافي للترجمة. إذا كان سان جيرم يعدّ رئيس المترجمين فــي الغرب، فإن سان بولس هذا يعدّ رئيس التراجمة. ولا شكّ أن المجمّــع الــديني concile للطران Latran (649) شهد أول ترجمة شفوية للمؤتمرات.

في العصر الوسيط، كانت للترجمان منزلة محددة في البلاط. كان ينعــت ب "الكيّس" و"اللطيف" و"الهمام" و"الحكيم" وهي نعوت تنمّ عن نبل طباعه. لقــد التمس شارلوماني خدمات العديد من التراجمة السرازيين. فــي القــرن الثــاني عشر، أنشأت الإمبراطورية البيزنطية الترجمة الشفوية الديبلوماسية: كانت تعيّن التراجمة والتراجمة الرسميين الذين يتخصصون في قضايا كل دولة أجنبية. بعد سقوط بيزنطةــ القسطنطينية في 1453، احتفظ الأتراك بهذا النظام وأولوا نفس

الأهمية للتراجمة لأن الاتصالات الرسمية قلما كانت تتمّ عن طريق الكتابة. في بداية القرن الرابع عشر، أدت التوترات بين الدول المسيحية والدول الإسلامية بالمشرع الفرنسي بيار دوبوا إلى إنشاء مدرسة للتراجمة لفهم الملمين والسعي إلى تنصيرهم. في 1699، أرسل لويس الرابع عشر فتيانا عمرهم تسع سنوات ليتكونوا في الترجمة الشفوية في القسطنطينية. بعد قرن من الزمن، في 1795، سمحت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية لفرنسا بأن تكوّن سلكا من الموظفين المترجمين والتراجمة الملحقين بالشؤون الخارجية، وكان ذلك إيذانا ببداية الترجمة الشفوية الديبلوماسية الرسمية في الغرب.

كان الترجمة الشفوية القانونية قد تطورت بعد. بالفعل، كانت اللاتينية اللغة العالمة في أوربا كافة إلى غاية القرن السادس عشر وحتى خلال جزء من القرن السابع عشر ولكن إذا كانت المرافعات تتمّ باللاتينية، فإن الاستماع إلى الشهود مثلا كان لا بدّ أن يتمّ باللغة المحلية الأمر الذي كان يتطلب وجود تراجمة في المحكمة. لكن الأنواع الأخرى من الترجمة الشفوية لم تكن ضرورية في أوربا لأن العلماء كانوا يجيدون جميعهم لغة شبه عالمية: اللاتينية أولا ثمّ منذ مصنّف وستفالي (1648) إلى غاية 1914 اللغة الفرنسية (ومن دواعي الغرابة أن أكبر المنهزمين في مؤتمر فيان في 1815 فرنسا قد فرضت لغتها على المنتصرين وكان المؤتمرون يعتمدون الفرنسية). يمكن القول بأن الخلافة صارت إلى حدّ ما إلى الإنجليزية أو بالأحرى الأمريكية.

بيد أنه إذا كان المكتوب (ومن ثمّ الترجمة) قد سادت طويلا، فإن الشفوية م(ومن ثمّ الترجمة الشفوية) ما فتئت تزداد أهمية. لقد دخل الترجمان حلبة المؤتمرات في 1919 في مؤتمر السلم مع بول مانتو Paul Mantoux مبتكر الترجمة اللاحقة la consécutive ويعمل بعصبة الأمم SDN. أما الترجمة الفورية la simultanée بالميكرو فقد ظهرت في 1927 في المؤتمر الدولي

للعمل بفضل ابتكار أمريكيين هما أ.فيلان وج. فينلي E.Filene et G/Finaly تولت شركة IBM إنجازه. في نهاية 1945، تــولى ليــون دوســتر وظيفــة الترجمان بمحكمة نورمبرغ التي كلفت بمحاكمــة الجــرائم النازيــة وحظيــت الترجمة الفورية بإشهار جمّ. وهكذا فازت هذه التقنية بالاعتماد نهائيا في الأمــم المتحدة، وأخذ التراجمة يبرزون في الإذاعة الأمريكية خلال عدة سنوات لأنهــا كانت تبثّ مناقشات الدورات الأولى. والتقى فريق كامل من الرواد في الترجمة الشفوية (أ.فالمان وجان هيبرت ور.كونفينو وأندري كامنكر وج. ماتيو بالنــسبة للفرنسية، وإيفانس وليود بالنبة للإنجليزية) في نيورك إما لممارســة الترجمــة اللاحقة تحت إشراف ج. هيبرت، ترجمان كليمنــسو وبوانكــاري وموســيليني وتشرشل، أو الفورية تحت إشراف ل. دوستر. في 1947، جمعــت الــشعبتان وأوكلتا إلى ج. رابنوفتش. إن الترجمة اللاحقة التي كانت قديما الأهــم والتــي سادت في عصبة الأمم ومجلس الأمن، لم تعد تمثل سوى 20% تقريبــا مــن نشاط التراجمة، ومردّ هذا أساسا إلى التدويل المتنامي للمــؤتمرات والنــدوات وكذلك لأن بعض الدول تريد فرض لغاتها.

إن ازدهار المهنة الهائل هذا وكذا الصيت الذي يتمتع به الترجمان لــدى الجمهور العريض (الذي يظهر أوهاما كثيرة حول ظروف عمله) قد جعلا تنظيم المهنة أمرا ضروريا. ففضلا عن تأسيس العديد من المدارس المتخصصة بــين 1945 و1955، قد اتسمت فترة ما بعد الحرب بإنشاء تجمعات مهنية. من بينها: جمعية التراجمة والمترجمين بجنيف AIT، والجمعية London Association of Conference Interpreters وخاصة الجمعية الدولية لتراجمة المــؤتمرات المؤسسة في 1953 بباريس) التي تضمّ قرابة 1000 عضو منتقين أيما انتقــاء. إنها تقبل التراجمة المحنكين الذين لهم باع طويل في الترجمة فــي المــؤتمرات يزكون من قبل خمسة أعضاء اثنان منهما على الأقل يمارسان عملهما في نفس

المنطقة التي يعمل بها المترشح وفي نفس النوع من الترجمة. لا تقبل لا الجمعيات ولا الموظفين العاملين بالأمم المتحدة. وكما تبيّن ذلك الوثيقة الموجودة في نهاية الفصل، لقد أصدرت قانون سلوك حقيقيا.

في هذا التاريخ، كانت معاهد متخصصة قد شرعت بعد في تكوين التراجمة بهيدلبرغ وكولونيا (1946) وساربروك وباريس (1948) وجورجتاون (الولايات المتحدة) (1949) ومونيريال (1951) وميونيخ وفيينا (1952). أنشئ معهد لوفان louvain في (1954).

2 ــ أصناف التراجمة: وعلى خلاف المترجمين، الذين لم يتخصصوا إلا حديثا جدا، شعر التراجمة سريعا بضرورة التخصص:

أ) يعنى ترجمان الصلة de liaison بالمفاوضات التجارية في زمر صغيرة. يمكنه أن يشتغل كدليل خلال زيارة المصانع وخلال أسفار العمل في الخارج مثلا، فهو كثيرا ما يجبر على ترجمة الخطابات التي تلقى أثناء المأدبات.

ب) كان الترجمان العسكري يمارس مهنته في عهد قيصر ونابليون. كان سلك التراجمة العسكريين يوجد في شكل جنيني أثناء حروب الثورة الفرنسية، غير أنه أنشئ رسميا في 1830. لقد وصف أندري موروا الذي كان ترجمانا ومترجما خلال الحرب العالمية الأولى بعض تجاربه من خلال شخص أوريل Aurelle في كتابه الموسوم: Les silences du colonel Bramble (1918). كما أن ترجمان هتلر المسمى Paul Schmidt وصف في كتابه Ma figuration auprès d'Hitler، نظام مصلحة الترجمة والترجمة الشفوية للفهرر، وكانت هذه المصلحة بمثابة عالم معزول تماما عن الخارج.

ت) أما الترجمان لدى المحاكم فلا وجود له إلا في بعض البلدان. فإنجلترا مثلا ليس لها تراجمة من هذا القبيل. في العصر الوسيط، كانت العدالة تصدر أحكامها باللاتينية وكان رجال الكنيسة يترجمون إلى اللغة المحلية المستعملة.

في زماننا هذا، يقوم التراجمة المحلفون (فرنسا، بلجيكا، إيطاليا، ألمانيا) بعملهم خلال المناقشات ويترجمون الوثائق.

ث) الترجمان القضائي ينتمي إلى صنف مختلف شيئا ما. في فرنسا، كانت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية (1795) المدرسة الوحيدة المؤهلة لتكوين التراجمة والتراجمة المكلفين بمساعدة الأعوان الديبلوماسيين والقنصليين في البلدان الشرقية. في مرسوم 29 ماي 1946، حدّد وزير الحرب شروط استخدام وتوظيف وأجور التراجمة القضائيين في الجزائر. أعيد إصدار ترتيباته من قبل مرسوم 16 سبتمبر 1924 (أنظر: A.Hacène, Manuel formulaire à l'usage des interprètes judiciaires de l'Afrique du Nord, Alger, 1917).

ج) أما الترجمان في المؤتمرات الذي كان يسمى في السابق بالترجمان البرلماني (هذه التسمية لا تزال موجودة في الشهادات الممنوحة من قبل مدرسة جونيف) هو آخر صنف ظهر للوجود وهو الوحيد الذي تخصص في الترجمة الشفوية وحدها. يمكنه أن يكون موظفا ملحقا بمنظمة دولية أو العمل لحسابه الشخص مستقلا (free-lance أي بحسب العقد). إنه الترجمان المطالب بامتياز بالوفاء الخطابي والتأثيري لأنه يتعين عليه نقل شخصية الخطاب الذي يروم استثارة ردّة الفعل. كما أنه صاحب أكبر صيت.

3 ــ أنواع الترجمات الشفوية:

أ) الترجمة المنظورة traduction à vue تتمثل في ترجمة نصّ لم نتعرف عليه سلفا بصوت عال وكأننا نقرؤه دفعة واحدة. أحيانا يطلب من التراجمة في المؤتمرات بترجمة وثيقة أيضا الأمر الذي يلزمه بالقيام بعمل صعب جدا لأن النص المكتوب عادة أكثر كثافة من الخطاب الشفوي. خلال الترجمة بالنظر هذه، إن أهم مسعى يجب القيام به هو إتقان الاستباق anticiper: أي توقّع ظهور بعض التراكيب النحوية عادة ما تتلوها تراكيب

أخرى محددة أو الشعور بأن هذه الفكرة أو تلك ، لأنه عبّر عنها ببعض التحفظات، ستصحح أو تستكمل بهذه الكيفية أو تلك.

ب) الترجمة الشفوية اللاحقة أقدم نوع. وهي التي كان تراجمة عصبة الأمم يستعملونها كما لا يزال يستعملها اليوم تراجمة مجلس الأمن والأمم المتحدة لأنها أكثر دقة وتركيبا من الترجمة الفورية. بيد أن استخدامها محدود بما أنه لا يلتجأ إليها إلا عند وجود لغتين وعندما يكون عدد أفواج العمل ضئيلا. وتتمثل هذه الترجمة في تسجيل لأهم ما يرد في تدخل الخطيب ثمّ ترجمة كل ما يقول إلى اللغة الأخرى بالاستعانة بالملاحظات المقيدة ثمّ ترجمة ما يقول المخاطب (بفتح الطاء) إلى اللغة الأخرى. يمكن للترجمة أن تتمّ بشكل تامّ (أي ترجمة الخطاب برمته) أو بشكل مختصر (تلخيص الأهم) أو تباعا (أي أن الترجمان ينتظر أن يفرغ الخطيب من الكلام) أو بكل متقطع (الخطيب يتوقف عن الكلام من حين لآخر بشكل منتظم). أما الترجمة اللاحقة فتتمّ دون تقييد ملاحظات: بعد أن يتمّ التفاهم مع الخطب، يتولى الترجمان العمل بعد كل توقف من لدن الخطيب،في الغالب عند نهاية كل جملة أو بعد عشرين كلمة.

تستدعي الترجمة اللاحقة الذاكرة الحية النشطة التي تنمى خاصة بتمارين التلخيص والتكثيف وإعادة التنظيم. إن مدارس التكوين تقدم دروسا في كيفية تسجيل الملاحظات التي لا علاقة لها بالكتابة الاختزالية sténographie على عكس ما هو معتقد. ذلك أن الكتابة الاختزالية تكتفي بإيراد كل ما قيل بشكل أعمى، في حين أن تدوين الملاحظات يقصي بعض الأشياء وتعزل التفاصيل عما هو أساسي ويعيد بناء المجموع. إن التقديم الكلاسيكي يجري لا في شكل خطي مستمر بل في شكل تدرّجات. ومع ذلك، لئن كانت هناك دروس تقدم في هذا المضمار، فإنها لا تقدم سوى مبادئ عامة لأن الملاحظات لا تصلح إلا في استكمال الذاكرة ولما كانت لكل ترجمان ذاكرته الخاصة، فلا بدّ لكل ترجمان أن

يبلور النظام الذي يلائمه أكثر انطلاقا من العناصر ولاسيما الرموز المستعملة في جميع اللغات. توجد العناصر الأساسية معروضة في مصنّف ج.ف. روزان: J.F.Rozan, La prise de notes en interprétation consécutive (1959) الذي قام بجرد 20 رمزا تعبيريا للدلالة على الحركة والمطابقة، عشرة منها فقط ضرورية. ولكي يتمرن المرء على الترجمة اللاحقة، لا بدّ من جهة أن يسيطر على تنفسه ومن جهة أخرى، التمرن على التأليف والتركيب synthèse. وهذا يتمّ من خلال البحث عن الكلمات ــ المفاتيح والترتيب المنطقي للأفكار (التمفصلات، أدوات الوصل) وتمارين إعادة بناء النصّ. ينصح جان هربرت في كتابه الموسوم: Manuel de l'interprète (ص 32وما يليها) بتسجيل الملاحظات منذ البداية وألا يتخذ الترجمان سوى مسافة قدرها ثوان معدودات وان يتولى التحليل المنطقي شيئا فشيئا بفضل جدول تلخيصي يسجل مراحل التفكير. ويجب أن تدون الملاحظات باللغة ــ الهدف بحيث يشملها النظر دفعة واحدة على الصفحة. ومن البديهي أن تلغى التكرارات وحتى التصحيحات التي يجريها الترجمان. يعيد الترجمان بناء الخطاب ولكن ببراعة. يجب أن يتمرن على قراءة ما كتب وهو يتحدث أي أن يقرأ الجملة مع تفكيك الجملة الموالية.

الترجمة اللاحقة عمل صعب، لاسيما بالنسبة للمترشحين التراجمة الذين يجهلون بعض المواد مثل الاقتصاد أو العلوم السياسية أو الذين يغريهم التعليق على النصّ بدل تلخيصه وتقليصه. والحال إن الترجمة اللاحقة هي بعد نتاج تركيب وترجمة (يجريان على صعيد تدوين الملاحظات أي قبل الكلام). إنها ليست برديئة وهي التمرين الذي يمكّن بكل أفضل من تقييم المترشح الترجمان.

ح) الترجمة شبه الفورية. يلتجأ إليها عندما يجب ترجمة خطاب دقيق وهام إلى عدة لغات في مجلس الأمن مثلا. فالترجمان يترجمه ترجمة لاحقة وزملاؤه يترجمون ترجمته ترجمة متزامنة إلى اللغات الأخرى. هذا النوع من الترجمة يجمع بين دقة وصرامة الترجمة اللاحقة وسرعة الترجمة الفورية.

خ) تتمثل الترجمة الفورية في الحديث في نفس الوقت الذي يتحدث فيه الخطيب مع الالتزام بتفاوت قدره ثوان معدودة. وهذه الترجمة تجري دائما في حجرة معدومة الطنين cabine insonorisée (...). هذا النوع من الترجمة لمّا كان آنيا فإن من شأنه الاقتصاد في الوقت خلال المناقشات (غير أن السيدة سلسكوفيتش تؤكد عن حقّ بأن اللجان التي تحظى بالترجمة اللاحقة تتقدم في أشغالها بسرعة أكبر، وهذا نظرا إلى أن المعلومة قد ركّبت ولخصت سلفا فلا يحتاج المندوبون إلى وقت للتفكير) ولكنها مكلفة من حيث العتاد وتتطلب عددا ما من التراجمة. فعلا إن هؤلاء التراجمة يعملون في فرق مكونة من شخصين يتناوبان كل 20 أو 30 دقيقة. بالنسبة للمؤتمرات التي تشتغل بلغتي عمل يكفي ترجمانان ولكن يجب 12 ترجمانا إذا كان عدد اللغات ينتقل إلى 4. إن الصيغة التي تسمح بحساب عدد التراجمة الضروري هي : N=nx(n- n1 و n هو عدد لغات العمل. في حال جود تركيبة لغوية combinaison linguistique نادرة أو غير ممثلة، يعتمد التناوب relai : بعض التراجمة يرتبطون بحجرة زميل يترجم صوب لغتهم المصدرlangue-source.

وبما أن الترجمان لا يتوفر على المسافة ولا يمكنه الإحاطة بفكر الخطيب كله، فإنه يمارس نوعا من الترجمة أقل دقة من الترجمة اللاحقة، والتي تجبره على إعادة إنتاج ــ وحتى أحيانا مضاعفة ــ جميع معايب الخطيب. يجب عليه أن يتمرن على نوع من الذاكرة الخاصة، الذاكرة الفورية أو غير النشطة (وتوصف أيضا بغير الواعية).

بالنسبة للترجمة الفورية، ينصح جان هيربرت الترجمان أن يكون على بعد مساو من الميكرو دون الصياح وأن ينوّع من نبرات صوته حتى يبرز ما يتفوه به ولكن دون تغيير الحجم وأن لا يترك الخطيب يتجاوزه، فالبعدintervalle المعياري هو نصف الجملة. ومتى كانت الجملة

غير واضحة إما بسبب تركيبها أو بسبب التعبير، يجب ترجمتها بكــل حيــادي وإرجاء العنصر الحاسم إلى غاية حلّ المشكل. كما ينصح هيربــرت Herbert بالتحلي بالدقة بدل الأناقة، غير أن الأمرين ليسا بمتنافرين. أخيرا، يشير إلـــى خطر الأصدقاء المزيفين المتــستر. (أنظــر كتابــه Manuel, pages 29 et suivantes).

4 ــ طبيعة الترجمة الشفوية للمؤتمرات: من غير المجدي التشديد علـــى ما هو بديهي: الترجمةinterprétation تتمّ شفويا وآنيا، في حين أن الترجمة تتمّ كتابيا وبيسر. وهذا يوحي في الواقع بأن طبيعة هذين النشاطين مختلفة تماما. إن النصّ المكتوب يعرض فكرا في شكل نهائي وخال من الأمور غير المجدية فـــي حين أن الترجمة الشفوية تمسك بالفكر وهو في طور التبلور، مرتديا كلمات لـــم تختر بعناية، هذه الكلمات " المتلاشية لا أهمية لها من حيث صورتها في حين أن قيمتهــا المعنويـــة حاســـمة" (د. سلـــسكوفيتش : L'interprète dans les conférences internationales, 1969, p.26). الترجمان يتـــرجم بـــسرعة تفوق سرعة المترجم ثلاثين مرة، وعلى عكس هذا الأخير الذي لا يعرف قراءه، فهو يسعى إلى إحداث ردّة فعل لدى مستمعيه الذين هم قبالته. لا بدّ للرســـالة أن تجتاز المنحدرla rampe كما في المسرح ويجب أن تفهم حينا وبشكل تـــامّ مـــن قبل المستمع بما أنه يستحيل "إعادة قراءة" الرسالة. غير أن الترجمان لا يحظـــى بجميع ما يتمتع به الممثل (الإيماءات، الحركات، اللباس). يجـــب عليـــه إذن أن يسخر جميع موارد صوته حتى يمكّن المستمع مـــن إدراك المقـــاطع الأساســـية والنبرة. غير أنه أكثر حرية من المترجم لأنه خلافا للإدراك البصري الذي هـــو تكراري ويرسخ صورة الكلمات في الذهن، فإن الإدراك السمعي يتسم "بخاصـــية فصل المعنى عن التعبير"، فالصورة آفلة متلاشية (المرجـــع نفـــسه، ص 48). وعلى خلاف المترجم الذي له متسع من الوقت للتزود بالوثائق الضرورية، فـــإن

الترجمان عليه أن يسخّر أحداسه الخاصة ومعارفه لأن الخطباء حين يتوجهـون إلى زملاء لهم معرفة سابقة بالموضوع يستعملون عبارات مختزلة. يجب عليـه إذن تحليل الخطاب خلال تلقيه وتوضيحه لنفسه قبـل ترجمتـه وإعـادة بنـاء مضمونه الضمني وإبانة ما هو مضمر فيه وإدماج الكل في كيان يتمتع بالانسجام الداخلي. فهو إذن يقوم بتفسير الملفوظ الواجب ترجمته (المرجع نفسه، مـن ص 48 إلى 55). الترجمان ليس كالمترجم الذي يمّحي خلف النصّ ذلك أن الترجمان يتدخل كثيرا لإقامة "الاتصال الذي هو مسؤول عنه". وهكذا و"لمّا كان عليـه أن يفهم الغير بما فهمه هو نفسه، لا يتردد في الاضطلاع بدوره في "الحوار الثلاثي" trilogue ". فهو "يفسر" بأنه حصل تلاعب بالكلمات أو مزاح، ولا ينقل سـوى الفحوى حينما لا يستطيع ترجمة المزاح في ذات الآن. ويلخّص ـــ بالإشارة إلى ذلك ـــ جميع التطورات التي لا تظهر له عواقبها إلا بعد بعض الجمل. إجمـالا، يساهم مع المستمع من أجل ضمان فهم هذا الأخير" (المرجع نفسه، من ص 182 إلى 185).

إذن، تجري الترجمة الشفوية في ثلاث مراحل التي هي في الواقع آنية:

أ) الاستماع إلى دالّ لغوي مع الإحاطة باللغـة وفهـم الفكـر بالتحليـل والتفسير.

ب) النسيان الفوري والإرادي للدال بواسطة الذاكرة المباشرة الآنية التـي تتدخل بشكل غير نشط لتحتفظ بالمدلول فقط.

ت) إنتاج دال جديد في اللغة الأخرى. هذا الدال الجديد يجب أن يعبر عـن كل الخطاب وأن يكون مناسبا للمرسل إليه (المرجع نفسه، ص 35).

الاستماع هو الفعل الأول. فالترجمان يستمع ولكن لا يصغي: فإن أصغى فسيسخر الكثير من الانتباه الأمر الذي يحول دون إقدامه على الأفعال الأخرى. وهذا يستلزم إذن أن يستفيد الترجمان من ظروف عمل جيدة: استماع جيد، إقامة

حجرات وميكرو من قبل أخصائي ورؤية جيـــدة (فالترجمـــان الـــذي لا يـــرى الخطيب وهو يتكلم ترجمان معوّق). من حقه أن يرفض العمل في طابق مغاير للطابق الذي يجري فيه المؤتمر. إذا كانت السمّاعات أو مكبرات الأصوات غير جيدة يمكن أن يوقف العمل. بالطبع، من الصفات المطلوبة لـــدى الترجمـــان أن يكون صاحب سمع مرهف.

الفعل الثاني هو فهم اللغة. ولكن، خلافا لما هو رائج، إن معرفـــة اللغـــة ليست سوى جزء صغير مما هو منتظر من الترجمان وليست سوى مقدمـــة. إن مدارس ومعاهد التكوين تلزم دائما الطلبة بمعرفة ثلاث لغـــات معرفـــة جيـــدة. وحسب تصنيف الـــ AIIC فإن اللغة أ أو اللغة الأم هي اللغـــة التـــي يفـــضل الترجمة إليها. واللغة ب أو اللغة النشطة يجب أن تكون متقنة واللغة س أو اللغة غير النشطة langue passive يجب أن تفهم جيدا. تشدد السيدة سلـــسكوفيتش على كون معرفة لغة ما معناها أيضا استشعار عبقريتهـــا وخـــصوصيتها فـــي الإحاطة بالأشياء (المرجع نفسه ص 128-134). إن إدراك الفكر يتمّ إذن فـــي نفس الوقت الذي تتمّ فيه الإحاطة باللغة ولكنه يستلزم ويـــستدعي ثقافـــة عامـــة صلبة. إن التراجمة أخذوا شيئا فشيئا يتخصصون دون أن يتخصصوا مع ذلـــك في مجال معيّن بما أنهم يدعون خلال أيام قليلة إلى الانتقال من موضـــوع فـــي الكيمياء مثلا إلى موضوع آخر في علم الاجتماع أو القانون مـــثلا، ومـــن ثـــمّ فيصعب عليهم بل ستحيل عليهم التعرف على كل المفردات الخاصة بكل مجال. غير أن الترجمان الجيد له من الإمكانيات الفكرية ما يجعله قادرا علـــى تتبـــع المسعى الفكري للخطيب قصد إعادة بنائه. ولكي يكون الترجمان فـــي مـــستوى المندوبين، يتزود الترجمان بالوثائق الضرورة قبل كل حـــصة عمـــل بقـــراءة المصنفات العامة أولا ثم استشارة الموسوعات في اللغتين والمـــسارد الأحاديـــة اللغة ومطالعة وثائق المؤتمر والاستماع إلى التدخلات الأخرى ... إن البطاقيـــة

fichier التي يقوم برعايتها يوميا تفيده كثيرا في عمله.

في الوقت الذي يستمع فيه الترجمان يقوم أيضا بتحليل المعلومات المتلقاة ليستنبط منها معلومات أخرى تساعده على إعادة بناء المنطق الداخلي وتسلسل الأفكار، حتى وإن وجد فراغ أو بياض أو عقبة تحول دون الفهم. تورد السيدة سلسكوفيتش قصة تصوّر جيدا اختبار هذه القدرة. ثمة طائرة تحلق على مجال النزول (مطار) في الكونقو كينشاسا: سأل الترجمان ضابط الاتصال عمّا يجري وسمع: " الطيار لا يعرف كيف يهبط". حاول الطيار أن يتغلب على قلقه بأن قال في قرارة نفسه : إذا كان الطيار قد وفّق في الإقلاع فلا بدّ أن يحسن الهبوط، ثمّ فكّر في أن الضابط يقصد استحالة الهبوط نتيجة سوء حال الأرضية. وكان الأمر كذلك. فلما كان الضابط بلجيكيا فإنه استخدم كلمة "savoir" (معرفة) بمعنى pouvoir (قدرة) (المرجع نفسه ص 96)...

إن التحليل والتفسير يحصلان أسوة مع التحدث. لكن على خلاف الخطيب الذي يتلفظ بجزء من خطابه مع تصوره للفكرة التالية، فإن الترجمان "يستمع إلى الجملة التالية وهو يعبر عن الفكرة السابقة، ولكنه لا يصغي إلى هذه الجملة، إن ما يصغي إليه هو الجملة التي هو بصدد التلفظ بها هو نفسه. وعلى عكس ذلك، هو يصغي إلى معنى الجملة التي ينطق بها الخطيب وهو المعنى الذي يحتفظ به ليتلفظ به بعد ذلك مباشرة" (المرجع نفسه، ص 72).

الترجمان إذن لا يسجل الفقرة، فهو لا يعنى إلا بالمعنى وتمفصلات الفكرة بحيث يمكنه إعادة بنائه في اللغة الأخرى. يستعين في ذلك بالملاحظات (وهي قليلة قياسا بما هي عليه في الترجمة اللاحقة) إن دعت الضرورة إلى ذلك. و"هذه الملاحظات هي ما سيتفوه به وليس ما يسمعه" (المرجع نفسه، ص80). يعتمد الترجمان على حدسه وينقاد إلى الخطاب ودواعي الخطيب. لا يبذل جهدا واعيا للتذكر لأن ذاكرته ذات مدى محدود وتغدو غير

نشطة ولكن يمكن إعادة تنشيطها في كل وقت. إذن لا بدّ للترجمان أن يكون مستعدا للاستجابة إلى الحاجات وأن يكون صاحب حدس وخيال دون أن ينقاد لهما انقيادا أعمى. يجب أن يكون قادرا على أداء عدة أشياء في الوقت نفسه، من ذلك مثلا الإسهام في الحديث أثناء العشاء العائلي مع تتبعه لنشرة الأخبار.

بما أن هذا النشاط الذي يمرّ بمراحل ثلاث يفصل بين اللغة والفكر، فإن اللغة الأهمّ هي اللغة الهدف التي هي اللغة أ في جلّ الحالات. يظن بعض المبتدئين بأنه في مقدورهم الاشتغال في حجرة اللغة ب ولكنهم لا يدركون بأن اللغة التي يستعملون لا تفيد قط المستمع أي أن الرسالة لا تفهم كلية. وفضلا عن هذا، هم يفتقرون إلى السهولة في التعبير ويركزون على الكلمات ولا يهتدون إلى أسلوب متجانس يكون صدى لأسلوب الخطيب. في الواقع، إن الخطيب يجري سلسلة من الاختيارات التي قامت بتحديد نبرته وأسلوبه اللذين يجب احترامهما.

إن طبيعة ترجمة المؤتمرات إذن لا تجعل من الترجمان ــ وهو يترجم ــ مترجما بسيطا (أنظر في هذا الباب، T.Nilski "Translators and interpreters-Sibling or a Breed apart", META, n°2,1967). فالترجمة الشفوية تشبه أكثر عملية الحكي والسرد مع استذكار متواصل لملفوظات ذات شكل متلاش. غير أن الراوي يعيد بناء هيكل مفكك puzzle لمستمعيه مانحا لكل جملة معنى وغاية خاضعين لبناء عقلاني يعيد إنشاء كيان كامل. في المحصلة، تكون الغلبة لإرادة التبليغ بوضوح وبشكل آني. عندما نعيد الاستماع لخطاب مترجم مسجل ونقارنه بالأصل فإننا نسجل العديد من الأشياء التي يصفها المترجم الصفوي بالمعاني المخالفة أو المعاني المضادة faux sens ou contre-sens، ولكن المندوبين قد تفطنوا لها وأدركوها. إننا هاهنا مرة ثانية إزاء المشكل الذي أثرناه بصدد ترجمة الأعمال المسرحية و"المعنى

المخالف الأدنى" الذي يقول به لادميرال. ففي حين يسعى المترجم إلى الاحتفاظ بكل الحقل الدلالي للكلمة، فإن الترجمان، وهو على عجلة من أمره والحـــريص على أن يفهم فورا، لا ختار سوى معنى واحد حتى وإن اضطر بعد ذلــك إلـــى تصحيح الأداء إن تبين له بأنه أخطأ. فهو ينقاد لما يبدو له أمر محتمل ويستنبط المعنى استنباطا في حين أن المترجم يحيط بالنص بكل تفاصيله. المترجم يركن إلى الحياد في حين أن الترجمان يتدخل. بالفعل، بما أن المندوبين ينظرون إلـــى خطيب يحدد فكره ويبينها بالحركات والإيمـــاءات فيجـــب، لكـــي تكـــون ثمـــة وحدة ما، أن يكون الصوت الذي يصل أسماعهم مطابقا قدر الإمكان لشخـــصية الخطاب. أما الترجمان فيسهم في ما يقول ويسخرّ موارد النبر والجرس والتنغيم والقوة ومستوى اللغة أي باختصار الأسلوب.

نخلص من كلّ هذا إلى أن شخصية الترجمان مختلفـــة عـــن شخـــصية المترجم.

5 ــ شخصية الترجمان: أنشأت معاهد التكوين ملامح profils متمايزة جدا، وتوفر تكوينا مختلفا يتطلب صفات مختلفة. فالمترجم في الغالب صـــاحب انتباه شديد وأبطأ وأكثر دقة. إنه شديد التحري ويمكنه العودة إلى عملـــه متـــى شاء. أما الترجمان فهو يقظ وعصبي وسريع وحدسي. فهو صـــاحب البديهـــة وربطة الجأش.

لكي يكون المرء ترجمانا، لا بدّ من بعض الاستعدادات والصفات الفطرية بعضها يمكن صقلها بالممارسة. سبق أن رأينا أن الترجمان يجب أن يكون قادرا على أداء نشاطات عديدة في الوقت نفسه. هناك بعض كبار التراجمة ينجـــزون مراسلاتهم في الحجرة. ينـــصح بعـــض الأســـاتذة بـــبعض التمـــارين للعـــزل exercices de dissociation مثل الاستماع للنص المقروء في لغة مع إجراء الحساب العكسي في اللغة أ قبل تلخيص النصّ. ومن المفارقـــات أن الترجمـــان

يجب أن يكون يقظا وليّنا ومتقبلا. كما يجب أن يكون ذا شخصية دون أن يفرضها على ما يقوله الخطيب. المفارقة الأخرى تكمن في أنه يجب أن كون صاحب تركيز خاصة عند التحدث دون أن يلهيه الاستماع وبتقسيم انتباهه لكي يتأقلم لظروف التفاوت البصري في الترجمة اللاحقة والتفاوت السمعي في الترجمة الفورية.

تتمثل الصفات الذهنية المطلوبة في الحكم jugement والتمحيص discernement. يجب على الترجمان أن يوفق في إقصاء ما هو ثانوي ليبرز ما هو أساسي. إن العمل في مجال الترجمة اللاحقة يشغل عادة ثلاثة أرباع الوقت الذي يستغرقه الخطيب. كما يجب عليه الاهتداء إلى قصد الخطيب وإعمال الفطنة في تدخلاته. وهكذا يمكنه تليين جميع أنواع الشطط أو العنف اللغوي للخطاب دون أن يمحوها وسيقبل عن طيب خاطر التصحيحات المحتملة التي يمكن لمندوب ما أن يوردها مع إسداء الشكر إن كان التصحيح قائما على أساس وتبرير ترجمته باختصار إن رأى أن التصحيح ليس كذلك. أخيرا، لا بدّ للترجمان من خفّة ذهنية وبداهة فكرية. وهذا يتجلى عمليا في القدرة على إنهاء الجمل خاصة حتى وإن كان الخطيب لا يفعل ذلك لأن ليس هناك ما هو أكثر إحباطا للمستمع من أن يظل معلقا.

أما الصفات الجسمية فهي متعددة: امتلاك سمع مرهف وصوت واضح وبيّن. لا يجب الصياح ولا تغيير الحجم أو الأسلوب بكل مفاجئ (الجهر، الحدة). فيما يتعلق بالنبرة الخطابية فلا يجب أن تكون باهتة أو مبالغا فيها بل متوسطة. لا بدّ أن يتلاءم النبر مع الجوّ العام: فالنبرة في مأدبة ليست بتلك التي يجب أن تكون في اجتماع بين العلماء. كما يجب على الترجمان أن يتدرّب على النطق السليم. هماك مصنفات تقترح تمارين في هذا المجال تسمى "tongue-twisters" بالإنجليزية. فعلاوة على التمارين الكلاسيكية من قبيل :

un chasseur sachant chasser ... و les chemises de l'archi-duchesse ... هنـــاك : si six scies scient six cigares, 606 scies scient 606 cigares و Dindon dîna, dit-on, du dos d'un dindon dodu و Harry had a hawk in a high hat box. His hawk hang his head cut. Harry hit the hawk on the head with a hammer. Heard-hearted Harry!. وفضلا عن هذا، يتعين على الترجمـــان مراقبـــة وضبط نفسه لتحسين منسوب كلامه والقضاء على رجاته وارتعاشاته. وهذا يتمّ بإجراء تمارين التنفس مما يساعد على تجاوز الخوف والاستقامة.

يقدّم هيربرت في كتابه عدة نصائح بالنسبة للترجمة الفورية. ومن أهمها (ص 23 وما يليها) تلك التي تشدد على ضرورة تحاشي الحركات داخل الحجرة وعدم دعك الورق، ذلك أن الميكرو يضخم الأصوات وكذا النـــصيحة المتعلقـــة بالتمرن على فهم اللكنات المحلية accents régionaux وكذا النصيحة القائلـــة بوجوب الإشارة إلى أن الخطيب قد استشهد بكـــلام الغيـــر (هـــذا يفتـــرض أن الترجمان لم يقف على الاستشهاد فحسب بل أيضا إنه يعرف صـــاحبه...). إذا احتوى الخطاب على مزاح أو نكتة فيستحسن ترجمتها وهو أمـــر صـــعب وإلا بإمكان الترجمان أن يوضح بأن الأمر يتعلق بمزاح. في حال ارتكاب الخطيـــب خطأ ما، يجب تصحيح الأمر لاسيما إذا كان الخطأ بينا. وعندما يكون الخطيب غامضا، يستحسن الإبقاء على هذا الغموض خاصـــة إذا تعـــذر بلـــوغ قـــصد الخطيب، ولكن إذا كان فكر الخطيب غامضا بشكل عرضي، يمكـــن عرضـــه بوضوح. وعلى نفس النحو، لا بدّ من تحاشي الصمت وإن تردّد الخطيب أو إذا كان الترجمان لم يفهم جيدا أو تعذر عليه إعادة قراءة ملاحظة، فسيؤثث ذلكـــم الفراغ بشكل حيادي باستعادة ما سبق أن قاله بطريقة مغايرة بعض الشيء لربح الوقت واستجماع خيوط الخطاب وملء الفراغ العابر. لا بدّ من تحاشي التلعـــثم بأي شكل من الأشكال : أ...أ..... عندما يرتكب الترجمان خطأ ويتفطن لـــذلك

يتولى تصحيحه فورا. وإن حصل أن تدخل مندوب ليصححه، فيجب عليــه أن يشكره سريعا حتى وإن كان التصحيح خاطئا ــ هــذا أمــر وارد، لمّــا كــان المندوبون صفويين تجاه اللغة التي يزعمون بأنهم يتقنونها ــ يمكنه بشيء مــن النباهة القول بأنه تبنى هذه الترجمة لأنها تبدو له في هذه الحالــة بالــذات، أدق وأصوب.

6 ــ **أخلاقيات المهنــة:** نحن نشاهد منذ بعض السنوات زحاما متــصلا بالمهنة، وهذا بتكاثر المترشحين التراجمة الذين لن يكتب لهم البروز أبدا علــى الصعيد العالمي. في 1974، وجهت لهم مدرسة جونيف تحذيرا مــذكرة إيــاهم بأهمية التكوين الثقافي واللغوي وشارحة لهم أهمية اختيار اللغات التي يترجمون منها وإليها وفق بعض معايير الفائدة. فاللغة الإنجليزية ضرورية في كل مكان. في أوربا، وحسب الهيئات، تتغير الحاجــات غيــر أن الإنجليزيــة والألمانيــة والفرنسية والإسبانية ســائدة مــع إضــافة الروســية والهولنديــة والإيطاليــة والدانماركية واللغات السكانديناقية أحيانا. في منظمات الأمــم المتحــدة، تظــل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية أهم اللغات لأن الروسية والصينية لا تــستعمل إلا من قبل الناطقين الأصليين بها. أما العربية، وهي آخر لغــة تــدخل الأمــم المتحدة، فهي مطلوبة بوصفها لغة غير نشطة، في حين أن الألمانيــة محــدودة المجال. بالنسبة لمنظمة الوحدة الإفريقية، لا بــدّ مــن الإنجليزيــة والعربيــة والفرنسية، وهذه اللغات الثلاث مستعملة أيضا في جامعة الدول العربية، علمــا بأن العربية تحتلّ المركز الأول. في الغالب، ينبغي تحاشي العمل بثلاث لغــات لاتينية (غير أن الإسبانية والفرنسية والبرتغالية يمكــن أن تفيــد فــي أمريكــا الجنوبية) أو ثلاث لغات اسكانديناقية أو أيضا الألمانية والهولندية والسويدية. كما أن الترجمة من الإيطالية إلى الفرنسية يجب أن تتحاشى هي الأخرى. غيــر أن الأمر الداعي للاستغراب هو أن هذه التحفظات لا تنطبق على المترجمين.

من جهة أخرى، وبدافع تطهير المهنة، تجمّع التراجمــة قــصد إصــدار قواعد أخلاقية سنجدها في قانون الــ AIIC. هذه الجمعية تلحّ علــى ضــرورة التحلي بالكتمان التامّ مع احترام سرّ المهنة والإحجام عن إفشاء ما سمع. والحال إن الذاكرة الآنية في كثير من الأحيان تجعل الترجمان ينسى الأقوال المسموعة إلى غاية إعادة تنشيط الذكرى.

القانون لا ينصّ على جميع الواجبات التي يتعين على ترجمان المؤتمرات الاضطلاع بها. يجب أن يكون منضبطا من حيث احتــرام الوقــت والمواعيــد بحيث يجب عليه أن يصل قبل بداية الجلسة لينتقل إلى مصلحة التوثيق والتأكــد من أن الأجهزة جاهزة وربما أيضا للاتصال بالخطيب أو رئيس الجلسة. يجــب أن يكون مهيئا مستعدا: من حيث اطلاعه على الموضوع والمصطلحات. هناك هيئات تابعة للأمم المتحدة تلزم عمالها بذلك ، وكل ترجمــان يجــب عليــه أن يتحصل على ملفّ الجلسة أياما قبل انعقادها. كما عليــه أن يخفــي أحاسيــسه الشخصية وعدم إظهار سخريته من خلال طريقة النطــق وتــشاؤمه وارتيابــه وعصبيته أو حتى ضــجره. فهــو مطالــب بترجمــة أقــوال الخطيــب دون ارتباك، حتى وإن كانت غير أمينة، ولكن يجوز له تليين التهجمــات أو المــدح بعض الشيء. يجب عليه فيما يتعلق بصلاته مع المندوبين التحلــي بالــصرامة المقرونة باللطف والكياسة. في الأوقات التي لا يشتغل فيها عليــه بالبقــاء فــي القاعة ولكن يجدر به ألا يلفت الانتباه حين يقوم بشيء أخر.

إن حياد الترجمان الذي لا يجوز له التخلي عنه تجلب له الاحترام بحيث يمكن للترجمان المحنك التدخل حين يفقد الرئيس السيطرة على النقــاش وتــتمّ التدخلات بشكل فوضوي: يمكنه أن يوقّف مندوبا غير منضبط مذكرا إياه بلباقة بأنه يجب عليه أن يترجم ما قيل توا أو بأن بشير إلى الرئيس بأن الخطيب قــد نسي (بضمّ النون).

وفضلا عن هذا، لا يجب على ترجمان المؤتمرات أن ينسى بأنه عضو في فريق. وعندما يكون داخل حجرة ولا يترجم، يمكنه أن يساعد زميلا بالبحث عن المراجع أو عن وثيقة. يحترم تقسيم العمل المتفق عليه مسبقا سواء أكان مبنيا على مدة 20 أو 30 دقيقة أو على خطاب تلو الآخر. المهمّ أن لا يتخلى عن الميكرو أو يبرح الحجرة ما دام لم يتأكد من مجيء ترجمان آخر ليستخلفه.

أخيرا، إن الترجمان المعرض لتوتر عصبي جمّ يجب أن يحسن الاسترخاء بشكل جيد أو الاهتداء إلى وسيلة تسليه مثل ترجمانة سويسرية قيل بأنها تسرد tricotait في الحجرة.

7 ــ الخلاصة: إن الصيت الذي يتمتع به الترجمان قد أغرى العديد من الناس، وكثيرون هم التراجمة المترشحون الذين يظنون بأن هذه المهنة تدرّ على صاحبها أجرا مغريا يسمح له بالسفر عبر العالم كافة. غير أن هذا لا يصدق إلا على نخبة التراجمة الدوليين الذين يدافعون عن مهنتهم بكثير من الغيرة. ومن الوجهة العملية، فإنه من الصعوبة بمكان البروز لاسيما إذا كان الترجمان لا يقيم بالقرب من الهيئات الدولية التي توظف من هم في محيطها القريب. في الجزائر، يتعين على الترجمان الذي يعمل وفق العقود أن يقبل بإنجاز ترجمات كتابية، فهو لا يقوى على العيش بالتعويل على الترجمة الشفوية وحدها.

قائمـــة المراجع:

Badawi, A. La transmission de la philosophie grecque au monde arabe, Vrin, Paris, 1968.

Bonnerot, L. Chemins de la traduction, domaine anglais, Didier, Paris, 1963.

Booth, A.D. Aspects of translation, Secker and Warburg, Londres, 1958

Brower, R.A. On translation, Oxford University Press, Londres et Oxford, 1966.

Cary, E. La traduction dans le monde moderne, Georg, Genève, 1965.

Catford, J.C. A linguistic theory of translation, Oxford University Press, Londres et Oxford, 1965.

Delavenney, E. La machine à traduire, Que Sais-je? Paris, 1959.

Finlay, I. Translating, TYB, Londres, 1971.

Fromm, H. Bibliographie deutscher Uberstzungen, Baden Baden, 1953.

Frost, W. Dryden and the art of translation, Yale University Press, New Haven, 1955.

Gerver, . et Sinaiko, H.W. Language Interpretation and Communication, Plenum Press, New York, 1978.

Grahs, L. et Malmberg, B. Theory and practice of translation, Peter Lang, Berne, 1978.

Grayson, J. Nabokov translated, Oxford University Press, Londres et Oxford, 1977.

Herbert, J. Manuel de l'interprète, Georg, Genève, 1952.

Huyssen, A. Die Frühromantische konseption von Ubersetzung und Aneignung Atlantis, Zürich.

Ladmiral, J.R. Traduire: théorèmes pour la traduction, petite bibliothèque Payot, Paris, 1979.

Larbaud V. Sous l'invocation de Saint Jérôme, Gallimard,

Paris, 1946.
Ljudskanov, A. Traduction humaine et traduction mécanique, Dunod, Paris, 1969.
Maillot, J. La traduction scientifique et technique, Eyrolles, Paris, 1969.
Makdoun, I. "Les traducteurs chrétiens et la science arabe", Recherches d'Islamologie, Louvain, 1977.
Malblanc, A. Stylistique comparée du français et de l'allemand, Didier, Paris, 1961.
Martinet, A. Le Langage, La Pléiade, Paris, 1968 (articles de J.P Vinay et E.Delavenney).
Meschonnic, H. "Poétique de la traduction", Pour la Poétique II, Gallimard, Paris, 1973/
Mounin, G. (Leboucher, L.), Clefs pour la linguistique, Seghers, Paris, 1968.
Les Belles Infidèles, Cahiers du Sud, Paris, 1955.
Les Problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris, 1963.
Linguistique et traduction, Dessart Mardaga, Bruxelles, 1976.
Nida, E. Toward a science of translating, Brill, Leyde, 1964.
Nida, E. et Taber, C. The Theory and practice of translation, Brill, Leyde, 1969.
Pergnier, M. Les fondements sociolinguistiques de la traduction, Champion, Paris, 1978.
Rozan, J.F. La prise de notes en interprétation consécutive, Georg, Genève, 1956.
Savory, T.S. The art of translation, Cape, Londres, 1957.
Schumacher, N. "Analyse du processus de la traduction: conséquences méthodologiques", META, sept. 1973.
Seleskovitch, D. Langage, langues et mémoire, étude de la prise de notes en interprétation consécutive, Minard, Paris, 1975.
L'interprète dans les conférences internationales, Minard, Paris, 1968.

Steiner, G. After Babel, Oxford University Press, Londres, 1975.
Après Babel, Albin Michel, Paris, 1978.
Sykes, J.B. Technical translator's manual, ASLIB, Londres, 1971.
Van Hoof, H. Théorie et pratique de l'interprétation, Munich, 1962.
Vauquois, B. La traduction automatique à Grenoble, Dunod, Paris, 1975.
Vermeulen, F. Le paradoxe du traducteur, Zevenkerken, Bruges, 1976.
Vinay, JP et Darbelnet, J. Stylistique comparée du français et de l'anglais, Didier, Paris, 1958.
Walzer, R. "L'éveil de la philosophie islamique" Revue des Etudes Islamiques, n°1, 1970.

المـــجـــــلات

BABEL, Berlin
ETUDES DE LINGUISTIQUE APPLIQUEE, Didier, Paris.(notamment Oct.1973, Oct.1976).
LANGAGES, Didier, Paris, notamment n° spécial n°28, 1972.
LE LINGUISTE, Bruxelles.
L'INTERPRETE.
META, Société des Traducteurs canadiens.
TRADUIRE, Société française des traducteurs.

تصدر اليونيسكو كتبا من بينها:

- Index Translationum
- Scientific and technical translating (1957)

فهرست الموضوعات